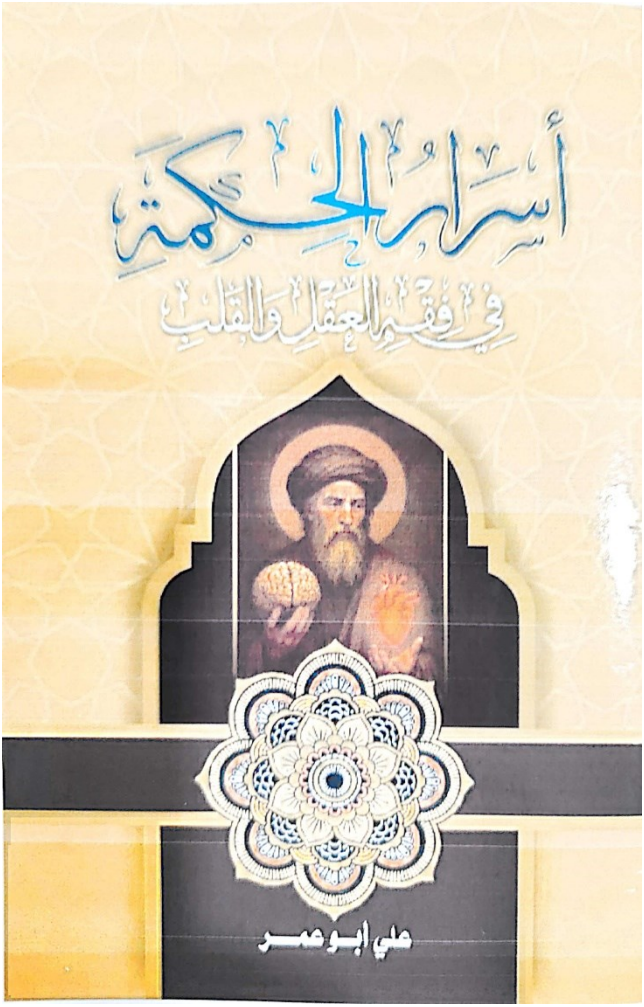
أسرار الحكمة
في رقي العقل والقلب
علي أبو عمر

أسرار الحكمة رسائل في فقه العقل والقلب

علي أبو عمر

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم
إلى نور سكن العيون فأَنارَ الدروب!
إلى الحرفِ الذي انساب ندىً فأنبتَ القلوب!
إلى كل من أَلقى سؤالاً في الظلام وانتظر إجابةَ العصر!
إلى الداعي الذي يحملُ مصباحَ الحقِّ في زمنِ الضجيج!
يُصغي لهمساتِ الرُّوح في عالمٍ يصرخُ بالمادَّة!
ويناغي القلوبِ بلغةِ الحياة، في زمنٍ عزف عن فهم لغة الوحي!
إلى جيل يبحثُ عن اليقين في بحرٍ من الشكِّ!
وشباب يتوقُ إلى المعنى فيعصر السرعةَ والانزياح!
إلى كلِّ قلبٍ لمْ يقسُ، وكلِّ روحٍ لم تستسلم!
أهدي هذا الجهد.. حرفاً يبحثُ عن معبر وكلمة تُلامسُ وجدانَ العصر بلغة يفهمها.. عَلَّها تكون جسراً بين أصالة الدِّين وعبقرية الزمان.. وأسال الله أنْ يجعلهُ عَمَلاً خالصاً لوجهه الكريم.
ونوراً نهدي به إلى صراط الله المستقيم.

علي أبو عمر

15 ربيع الأول

1447 هجرية

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على سيِّدنا محمد رسولِ الله المبعوث رحمةً للعالمين، فإنَّ الكلمةَ الطيبةَ صدقة، والرسالةُ الهادفة نور يُضيء الطريقَ وهدايةً تُلامسُ القلبَ والرُّوحَ وهذا الكتابُ " رسائل إسلامية " يُقدَّمُ بين يديك أَخي القارئ وأختي القارئة مجموعة من الرسائل، التي تجمع بين الوعظِ الحكيمِ والفكرِ النيِّر مستمداً روحهُ من كتابِ الله تعالى، وسنَّة نبيه صلى الله عليه وسلم وسائر تراثنا الإسلامي الخالد، جاءت هذه الرسائل لتعالج قضايا العصر برؤية إسلامية متوازنة، تصل الماضي بالحاضر وتُعيدُ صياغةَ المفاهيم في ضوءِ الوحيِّ الخالد، فهي تارة دعوة إلى الخير والفضيلة، وتارة أخرى إجابة عن تساؤلات حياتية بأسلوب واضح سلس.

لتناسب كل قارئ يبحث عن غذاء لروحه، أو توجيه لحياته كما جعلتها، وقد حرت في كتابتها على الاختصار المفيد، والبعد عن التقيد، متنوعة المواضيع لتشمل جوانب الإيمان والعبادة والأخلاق والاجتماع والفكر، وغيرها من المجالات التي يحتاجها المسلم في رحلته الدنيوية.

أســأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصــاً لوجهه الكريم وأن ينفع به كاتبه وقارئه وناشره وأن يجعل لبنة في بنـاء الأمة الواعية، المتمســكة بهدي دينها، العارفة برســالتها في الحياة.

علي أبو عمر

" الرسالة الأولى "

إقناعاً بالحكم، لا تحريفاً للحكم!

الحكم أولاً

إذا لم تحرر الحكم جيداً بناء على الأدلة والبراهين الشرعية، فستصبح أساليب الإقناع هي التي تتحكم في قرارك، ممَّا قد يدفعك إلى اختيار الأسهل والأقرب إلى قبول الناس، وليس الأقرب إلى مقصود الشريعة، لا تجعل وسائل الإقناع تُشكِّل حكمك، بل اجعل الحكم الصحيح هو الذي يوجِّهُ طرقَ إقناعك.

إقناع الناس بالأحكام الشرعية

خاصةً في سياقٍ معقَّد يتطلب فهماً متعدد التخصصات هنا تحليل لأبرز الأفكار مع تعزيزها بأمثلة وإضافات.

1. الفرق بين المعرفة والإقناع:

معرفة الحكم الشرعي لا تعني تلقائياً القدرة على إقناع الآخرين به، خاصة في ظل تنوع الخلفيات الفكرية والعلمية، العالِم أو الفقيه قد يُتقن الأدلةَ النصَّية على تحريمِ الرِّبا مثلاً، لكنَّه يعجز عن مناقشة تأثيره الاقتصادي مع خبير اقتصادي، إلّا إذا امتلك أدوات تحليل الاقتصاد الكلي.

2. أدوات الإقناع المتعددة: مهارات اتصالية؛ كالقدرة على صياغة الأفكار بلغة المخاطب معارف تكميلية: مثل الاقتصاد في الربا، أحكام الطب في الصيام، علم الاجتماع في أحكام الأسرة.

3. خطورة التخلي عن الأحكام عند صعوبة الإقناع:

النصُّ يحذر من مغبة التهاون في تطبيق الأَحكام لمجرد عجز البعض عن إقناع الآخرين، لأنَّ شرعية الحكم تستند إلى الأدلة الشرعية، وليس إلى درجة تقبل الناس.

توضيح: هذا يشبه رفض نظرية علمية ككروية الأرض لأنَّ بعض الناس لا يستوعبون أدلتها، الشرعيات والعقليات لا تقاس بقابلية الإقناع المباشر.

4. الحاجة إلى التخصصات:

ضرورة وجود علماء شرعيين متخصصين في مجالات معاصرة لسد الفجوة بين النص الشرعي والتطبيق العملي في عصر المعلومات السريعة أصبح الإقناع يتطلب أيضاً مواجهة الشبهات عبر منصات التواصل بلغة مبسطة مع الحفاظ على الدقة، إذ أنَّ الإقناع بالأحكام الشرعية مسؤولية جماعية، تحتاج إلى تعاون المختصين في الشرع والعلوم الأخرى مع تدريب الدعاة على مهارات الحوار المنطقي، الأهمُّ عدم التنازل عن الثوابت بحجة عدم الإقناع بل العمل على تطوير الذات.

5. تحديات العصر الرقمي:

كثير من النَّاس لا يقتنعون بالحق حتى مع وجود الأدلة القاطعة، لأنَّ العوائق النفسية كالكبر، والهوى، والعادة والمصالح تمنعهم من القبول قال تعالى" وقال الذين كفروا لولا نُزّل عليه القرآن جملة واحدة " الفرقان 32.

واجب الداعية هو البلاغ وليس الإقناع

لم يُكلَّف النبي صلى الله عليه وسلم بإيمان الناس، بل بالبلاغ المبين " فإنْ أَعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً " النساء 80

النَّجاح الحقيقي للداعية ليس في عدد المقتنعين، بل في أداء الأمانة وتبليغ الرسالة بصدق وحكمة، عدم الإقناع لا يعني ضعف الحجة قد يكون الحكم الشرعي واضحاً، لكنَّ الناس لا يقبلونه لأَسباب خارجية كالهوى أو الخوف من التغيير.

الإقناع هو أداة أساسية في الدعوة إلى الإسلام!

لكن بشرط أن يكون إقناعاً بالحكم الشرعي الصحيح دون تحريف أو تزييف لتلبية رغبات الناس أو الأهواء السياسية أو الإعلامية.

" الرسالة الثانية "

الظروف البيئية الداعمة للانحراف!

القلبُ البشري عرضة للتقلّب والابتلاء وأَنَّ الثبات على الدين نعمة عظيمة من الله تعالى تحتاج إلى مجاهدةٍ ودعاءٍ ويقظةٍ دائمة.

أولاً: لا أحدَ في مأمنٍ من الابتلاء والانحراف، القلب بين أَصابع الرَّحمن كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " ما من آدمي إلّا وقلبه بين أصابع الله، فمن شاءَ أقامَ، ومن أزاغَ " رواه الترمذي.

وهذا يذكرنا بأَنَّ الهدايةَ والضلالَ بيد الله، ولكنَّ العبد مأمور بالأخذِ بأسباب الثبات، خاتمةُ العمل لا تُعرف سلفاً، فقد يعمل المرء بعملِ أهل الجنة ثم يُختمُ له بعكس ذلك بسبب غفلة أو استدراج والعكس صحيح، وهذا يُوجب الخوف والرجاء، وعدم الاطمئنان إلى النفس.

ثانياً: الفرق بين منْ يَبْذُلُ الأسبابَ ومنْ يستهن، المجاهدون في سبيل الله تعالى قال الله فيهم " والذين جاهدوا فينا لنهدينَّهم سُبُلنا" العنكبوت 69 فمن سعى في طلب الهدايةِ وابتعدَ عن مواطنِ الشُّبهات والفتن وفَّقهُ الله وأعانه.

المتلاعبون بالشبهات: من تعرَّض للشبهات بلا حذر واستهان بدينه فإنَّه قد يُبتلى بالزيغ كما قال الله تعالى " فلمّا زاغوا أزاغَ الله قلوبهم " الصف 5

ثالثاً: كيفَ نأخذُ بالأسباب؟ الدُّعاء إلى الله والالتجاء إلى ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من قوله " يا مقلِّبَ القلوبِ، ثبّتْ قلبي على دينك " مجاهدة النفس بالتعلم ومصاحبة الصالحين والبعد عن مواطن الفتن والخوف من سوء الخاتمة، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه " لو نُودِيَ أنَّ النَّاس داخلون الجنة إلّا واحداً لخشيتُ أنْ أكونَ أنا الواحد "، لا يغترَّنَّ أحد بحاله ولا يأَمن مكرَ الله في استدراج العصاة، لكن مع الخوف والاستعانة بالله والحرص على الأسباب يُرجى للمرءِ الثبات.

دوافع وأسباب الانحراف!

الانحراف عن الإسلام والمروق من تكاليفه ظاهرة معقدة تتشكل من عدة دوافع وعوامل متشابكة لا يمكن ردُّها إلى سبب واحد، ومع ذلك يمكن تحديد بعض الدوافع الرئيسية التي تساهم في هذا الانحراف ومن أبرزها:

1.البيئة الفاسدة والحاضنة للانحراف

البيئة تلعب دوراً محورياً في تشكيل فكر الإنسان وسلوكه، فإذا نشأ الفرد في بيئة تُروِّج للشبهات وتستهين بالدين أو تزيِّن المعاصي والضلالات، فإنَّ ذلك يسهل عليه الانزلاق نحو الانحراف.

بعض البيئات تضعف الوازع الديني وتهوِّن من شأن التكاليف الشرعية، ممَّا يجعل الفرد المسلم يتساهل في ترك الواجبات وارتكاب المحرمات.

2. ضعف العلم الشرعي والجهل بأصول الدين

الجهل بالعقيدة الصحيحة وأحكام الإسلام يجعل الفرد عرضة للشبهات والضلالات، عدم التمييز بين الحق والباطل أو بين الإسلام الصافي والتفاهات المنحرفة قد يؤدي إلى تبنّي أفكار خاطئة.

3. التأثر بالشهوات والانسياق وراء المغريات

اتباع الهوى والانجراف وراء الشهوات المحرمة كالزنا والمخدرات والربا قد يبعد الإنسان عن التزام الدين تدريجياً، بعض الناس يبررون انحرافهم بحجة الحرية الشخصية أو مواكبة العصر فيتخلون عن التكاليف الشرعية.

4. الشبهات الفكرية والعقدية

تعرّض الفرد لشبهات حول الإسلام مثل شبهات الإلحاد والعلمانية أو التفسيرات الباطنية للقرآن دون وجود من يصحح له هذه الأفكار، قد يدفعه إلى الارتياب في الدين ثم الانحراف عنه، وسائل الإعلام والأنترنت أصبحت منصات لنشر الأفكار المنحرفة، ممَّا يزيد من خطر التأثر بها.

5. الضعف النفسي والفراغ الروحي

بعض الأَفراد يعانون من أَزمات نفسية أو فراغ داخلي فيبحثون عن ملاذ في الفلسفات الضالَّة أو المذاهب الهدَّامة بدلاً من اللجوء إلى الدين، القلق الوجودي أو اليأس من الحياة قد يدفع البعض إلى رفض الدين باعتباره لا يحل مشاكلهم.

6. التقليد الأعمى والمجتمع المنحرف

الانحراف قد يكون نتيجة تقليد الآخرين، خاصة إذا كانوا من المشاهير أو الشخصيات المؤثرة.

الضغط الاجتماعي في المجتمعات غير الملتزمة قد يجعل الفرد يشعر أنَّ الالتزام بالدين شذوذ أو تخلف.

7. الاستضعاف والاضطهاد الديني

في بعض الحالات يجبر الشـــخص على ترك دينه أو التظاهر بذلك بســـبب الخوف من الاضـــطهاد كالذي يحدث في البلاد غير المسلمة، هذا قد يؤدي إلى النفاق أو الانحراف الخفي حتى يصبح الانحراف حقيقة في القلب.

8. الابتعاد عن الصحبة الصالحة

الصـحبة السـيئة تُغذِّي الانحراف، بينما الصـحبة الصـالحة تذكِّر بالله وتعين على الطاعة.

قال الله تعالى " فاســـتقم كما أُمرت ومنْ تابَ معك ولا تطغوا إنِّه بما تعملون بصير " هود 112

" الرسالة الثالثة "

من الأمانة إلى الخيانة!

ينشأ المسلم في بيئة تغذي فيه قيم التقدير والحب للصحابة الكرام، حيث يتعلم منذ الصغر في البيت والمسجد وأن يوقرهم ويذكرهم بالخير، وينشأ لسانه على الترضي عنهم وقلبه ممتلئاً بالأدب تجاههم، حريصاً على ألّا يصدر منه أي قول أو فعل يمسُّ مكانتهم، هذه التربية الإسلامية الراسخة تزرع في النفوس احتراماً عميقاً للصحابة فلا يسمح المؤمن لنفسه أن تقف موقفاً سلبياً من إساءة تُوجَه إليهم، ولحماية القلب من أي شائبة أو حقد، حذَّرَ علماء الإسلام من الخوض في الخلافات التي وقعت بين الصحابة، مؤكدين على ترك الجدال في هذه الأمور إلّا بحذر شديد، وبضوابط شرعية تحفظ حقوقهم وتصون مكانتهم، فالخوض في تلك الأحداث دون ضوابط قد يولد في القلب غلّاً وسوء ظنّ، لذلك أوصى العلماء بالاقتصار على ما يثبت العدل ويحفظ الودّ، وترك كل ما قد يكون سبباً في الاستخفاف بهم أو إساءة فهم مواقفهم، فالهدف هو الحفاظ على سلامة القلب، وعدم السماح لأي فتنة أن تُوهن حبَّ هذا الجيل المبارك.

" الرسالة الرابعة "

أينَ تكمنُ إشكالية تفسير المعاصرين لنظرية القرَّافي رحمه الله؟

هل كان الفقيه المالكي شهاب الدين القرَّافي، يتصور أنَّ كلامه في الفروق وغيره سيكون بعد عدة قرون موضوع نقاش بين من يحاولون التوفيق بين النظام الرأسمالي والنظم العلمانية؟ وهل كان يقصد بكلامه عن تصرفات الرسول صلى الله عليه وسلم بصفته إماماً وقاضياً ما يذهب إليه بعض المعاصرين من أنَّ الأحكام السياسية في الإسلام غير ملزمة، بل هي اجتهادية تخضع للأصلح والمصلحة؟

لنفكك التشابك ونرتِّب المسألة:

فهو يقرر في كتابه الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأَحكام وتصرفات القاضي والإمام صفحة 49_45

" فهو يقرر أنَّ ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم باعتباره إماماً للمسلمين؛ فهو خاص بالأَئمة ولا يقوم به عموم الناس، وما صدر عنه صلى الله عليه وسلم باعتباره قاضياً فهو للقضاة و لا يقوم به عموم الناس، وما صدر باعتباره تبليغاً وفتوى فهو لعموم الناس، فمثلاً " توزيع الغنائم وتجهيز الجيوش فعله النبي صلى الله عليه وسلم باعتباره إماماً فلا يسوغ لأحد أنْ يوزع الغنائم أو يجهز الجيوش إلّا إنْ كان إماماً، وليس هذا مثل الفتوى الصادرة عن النبي صلى الله عليه وسلم التي تكون لعموم المسلمين، وما فعله النبي صلى الله عليه وسلم باعتباره قاضياً فهو حكم قضائي لا يشمل عموم الناس مثلاً: قول النبي

صلى الله عليه وسلم لهند بنت عتبة " خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف " أخرجه البخاري.

هو حكم قضائي فلا يجوز للمرأة أن تأخذ من مال زوجها إلّا بعد حكم القاضي؛ لأنَّ تصرف رسول الله كان باعتباره قاضياً على رأي بعض أهل العلم، وقال آخرون يجوز للمرأة أن تأخذ بلا إذن قضائي؛ لأنَّ تصرف النبي صلى الله عليه وسلم هنا كان إفتاءً لها وليس قضاءً على زوجها، فأحكام الإمامة والقضاء والفُتيا كلها تشريع، لكن منها ما هو تشريع لعموم الناس يقومون به من دون إذن إمام ولا حكم قاضٍ ومنه ما هو تشريع خاص بالإمامة لا يصدر إلّا عن إمام، وتشريع خاص بالقضاء لا يصدر إلّا عن قاضٍ فما صدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره قاضياً أو إماماً فأحكامها متعلقة بالأئمة والقضاة، سواء كانت واجبة أو مندوبة أو مباحة، وإلّا فالأصلُ هو كونها أحكاماً تشريعية عامة لجميع الناس هذه خلاصة نظرية " القرَّافي " في التصرفات النبوية.

أينَ الخللُ في فهمِ بعض المعاصرين لكلام القرَّافي؟

يتمثل في أمرين:

أولاً التعميمُ الخاطئ: القرَّافي لم يطلق القول بأنَّ كل أفعال النبي صلى الله عليه وسلم وأقواله في الشؤون السياسية والدستورية غير ملزمة، بل كان يتحدث عن تصرفات معينة صدرت عنه صلى الله عليه وسلم بصفته إماماً للدولة وقائداً سياسياً، مثل إقامة الحدود وتوزيع الغنائم، وتنظيم الجيش وتعيين الولاة والقضاة فهذه الأحكام قد تتغير فيها الأحكام بتغير الزمان والمصلحة لكنَّها لا تشمل كل الأقوال والأفعال النبوية في الشأن

السياسي ولا تُلغي وجود نصوص قطعية أو مبادئ عامة ملزمة كالعدل والشورى والوفاء بالعهد.

ثانياً الخلط بين التصرفات الإدارية والأحكام التشريعية:

بعض المعاصرين وسّعوا مفهوم القرائي ليشمل حتى الأقوال النبوية الصريحة التي تحمل طابعاً تشريعياً عاماً مثل " لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة " والنهي عن التحاكم إلى الطواغيت والأمر بالقتال، فهذه ليست مجرد اجتهادات زمنية، بل نصوص تحمل أحكاماً شرعية ملزمة، وإن كانت تترك تفاصيل التنفيذ للاجتهاد البشري.

فالواجب التمييز بين ما هو تشريع عام كالأخلاق والحدود والمعاملات وغيرها وما هو اجتهاد تنفيذي مرتبط بظروف الزمان والمكان.

" الرسالة الخامسة "

الاستهانة بالمرأة والهيمنة الذكورية في الغرب!

صـــورة المرأة في الإعلام الأمريكي والأوروبي وتـأثير ذلـك على نظرة المجتمع إليها هي نقـاط مهمـة وحقيقيـة إلى حـدٍّ كبير، هناك تناقض واضـح بين الخطاب الرسـمي حول تمكين المرأة والمسـاواة، وبين الصـور النمطية والاسـتغلال التجاري لجسـد المرأة في الإعلام والإعلانات.

أبرزُ الجوانب التي تثيرها القضية

1. **تسليع جسد المرأة** الإعلام الغربي وخاصة الإعلانات يعتمد بشكل كبير على توظيف جسد المرأة كأداة لجذب الانتباه وبيع المنتجات، وهذا يعزز فكرة أنَّ قيمة المرأة تكمنُ في جاذبيّتها الجنســـية وليس في إنســـانيتها أو قدراتها الفكرية، لأنَّ الأمر يتعلق بالرأســـمالية والربح، حيث يتم اســـتخدام الصـــور الجنســـية لتحفيز الاســـتهلاك، ممَّا يعزز ثقافة تقلل من شـــأن المرأة.
2. **تشـكيل اللاوعي الجمعي** الإعلام يلعب دوراً كبيراً في تشـكيل تصـورات الناس، وعندما يتم تكرار صـور المرأة كجسـد للإثارة أو خادم للرجل يصـــبح هذا التصـــور الســـائد، الرجال الذين يتعرضـــون لهذه الصـــور باســـتمرار قد يبدؤون في التعامل مع النســـاء كأشـــياء بدلاً من أشـــخاص لهم كيان مســـتقل وعقل وإرادة.
3. **الغرب يتحدث كثيراً عن حقوق المرأة والمساواة**

لكن في الواقع هناك فرق بين الخطاب السياسي الصحيح والواقع المعاشي، بعض أشكال التمكين المزيفة تقدم المرأة

كقويَّة عندما تتبع معايير الجذب الجنسي، الذكورية مثل الملابس الضيقة أو الأدوار الجنسية في الأفلام، لكن هذا ليس تمكيناً حقيقياً، بل استمرار للتسليع تحت شعرات برَّاقة.

" الرسالة السادسة "

الليبرالية والأخلاق في الغرب!

الليبرالية كمذهب فلسفي وسياسي واقتصادي تطرح رؤية مختلفة لأصول تتعارض مع الرؤية الإسلامية أو التقليدية، يمكن تلخيص الموقف الليبرالي من الأخلاق في النقاط التالية:

1.الأخلاق بين النسبية والمادية

تنطلق الليبرالية من رؤية للأخلاق حيث لا تؤمن بثبات القيم المطلقة، بل ترى أنَّ الأخلاق تتشكل وفقاً للسياق التاريخي والاجتماعي والثقافي هذا يتعارض مع الرؤية الإسلامية التي تعتبر الأخلاق جزءاً من الوحي الإلهي الثابت في الإطار المادي الليبرالي التي تزيل القيم الأخلاقية أحياناً في منفعتها العملية مثل تعظيم الحرية الفردية، أو تحقيق السعادة الدنيوية، دون ارتباط بمرجعية متعالية.

2. الفردانية مقابل القيم الجماعية

تقدس الليبرالية الحرية الفردية كأعلى قيمة ممَّا قد يؤدي على إضعاف دور الأخلاق كضابط اجتماعي عندما يصبح حق الاختيار الفردي مطلقاً، قد تتحول مسألة شخصية غير ملزمة للمجتمع، في هذا السياق تُرفَض أي محاولة لفرض قيم أخلاقية من الخارج كالدين أو العرف، إذا اعتبرت تقيد الفرد حتى لو كانت هذه القيم تحمي كرامة الإنسان أو العدالة الاجتماعية.

3. الأخلاق والاقتصاد فصل الخطاب

في الاقتصاد الليبرالي خاصة النيو ليبرالي ينظر إلى السوق كمجال محايد أخلاقياً، حيث تحكمه قوانين العرض والطلب لا القيم الأخلاقية، هذا يؤدي إلى تبرير سلوكيات مثل الجشع والاحتكار تحت شعار" الكفاءة الاقتصادية " النقد الموجه هنا هو أنَّ الليبرالية تخلق مجتمعاً تُقدّس فيه النتائج المادية مثل الربح أو النمو الاقتصادي على حساب القيم الإنسانية ممَّا يفسّر انتشار الظلم الاجتماعي والتفاوت الاقتصادي.

4. السياسة والأخلاق ازدواجية معيارية

في السياسة الدولية تُتهم الليبرالية بالازدواجية، الدعوة لحقوق الإنسان بينما تدعم أنظمة استبدادية أو تبرير الحروب لغايات اقتصادية، هذا يعكس فصلاً بين الخطاب الأخلاقي والممارسة العملية حتى داخل المجتمعات الليبرالية، تصبح الأخلاق أداة انتقائية مثل التركيز على " حقوق المرأة أو المثليين "بينما تهمش قضايا الفقر أو العدالة الاجتماعية.

5. نتائج إقصاء الأخلاق الإسلامية

عندما تُستبدل الأخلاق المطلقة كالتي تأتي من الدين بأخلاق نسبية قائمة على المنفعة، قد ينتج عن ذلك:

الأنانية: اعتبار تحقيق الذات غاية بغض النظر عن تأثيرها.

تفكك الأسرة: بسبب الحرية الفردية بإطلاقيها مثل تشريع العلاقات غير الأخلاقية.

أزمة الهوية: فقدان المجتمع لبوصلته الأخلاقية المشتركة.

" الرسالة السابعة "

هل ينجي الإنسان من النار مجرد الإقرار بأنَّ الله هو الرب؟

مجرد الإقرار بالربوبية أي أنَّ الله هو الخالق المدبِّر لا يكفي لنجاة صاحبه من النار، لأَنَّ الإيمان الشرعي لا يتم إلّا بالإقرار بالألوهية أيضاً، أي إفراد الله سبحانه بالعبادة وحده لا شريك له، فأهل الجاهلية كانوا يُقرُّون بأنَّ الله ربهم وخالقهم، لكنَّهم لم يعبدوه وحده، فلم ينفعهم إقرارهم قال الله تعالى " ولئن سألتهم من خلقهم ليقولُنَّ الله " الزخرف 87 فالتوحيد ليس مجرد إثبات الصانع، بل هو إخلاص العبادة لله، وهذا هو معنى لا إله إلّا الله أي لا معبود بحق إلّا الله.

فمن أقرَّ بالربوبية ولم يوحِّد الله في العبادة، فهو كمن عرف الحق ولم يعمل به، وحاله كحال ابليس الذي أقرَّ بالله ربَّاً لكنَّه استكبر عن عبادته، وقد ضلت طوائف من المتكلمين حين جعلوا التوحيد مجرد إثبات الخالق، وعَدُّوا عبادة الله وحده من فروع الدين، فخالفوا الأنبياء والرسل، والنجاة لا يكون إلّا اعترافاً بالقلب، بتحقيق التوحيد الذي جاء به القرآن وإقراراً باللسان، وعملاً بالأركان.

خلاصة القول:

فالتوحيد ليس مجرد الإقرار بربوبية الله تعالى، بل يشمل أيضاً إفراده بالعبادة والطاعة والتشريع والتحاكم، وهذا هو جوهر توحيد الألوهية، إفراد الله بالعبادة وتوحيد الأسماء والصفات.

قال الله تعالى " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً " النساء 36

"وقضى ربك ألّا تعبدوا إلّا إياه " الإسراء 23، عدم الاستغاثة

بغير الله قال تعالى " إياك نعبد وإياك نستعين " الفاتحة 5 وقال تعالى " وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلّا هو " يونس 107.

عدم صرف أي نوع من العبادة لغير الله، مثل الذبح والنذر والرجاء والخوف وغيرها كما قال تعالى " قل إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين" الأنعام 162

التشريع والتحاكم لله وحده قال تعالى " إن الحكم إلّا لله " يوسف 40 قال تعالى " وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله " الشورى 10

وذمَّ الله تعالى الذين يتحاكمون إلى غير شرعه قال تعالى "أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون " المائدة 50.

" الرسالة الثامنة "

منهج التَّدرجِ في إقامة الشريعة بين النظرية والتطبيق!

التدرج في الشريعة هو أصلٌ عظيمٌ يُراعي حكمة الله تعالى في التشريع والدعوة والتطبيق، وقد يؤدِّي إهمال هذا المبدأ إلى مفاسد كبيرة، كما حصل في بعض التيارات الإسلامية التي تسرَّعت في إصدار الأحكام دون مراعاة الضوابط الشرعية، ممَّا أثَّر سلباً على الأفراد والمجتمعات.

1.التدرج في التشريع

المقصود به مراعاة الحكمة الإلهية في تنزيل الأحكام تدريجياً، بحيث تُشرع التكاليف وفقاً لاستعداد الناس وقدرتهم القبول والتطبيق.

الأمثلة:

بدأ الإسلام بترسيخ التوحيد وأصول الإيمان قبل تفصيل العبادات والمعاملات.

تحريم الخمر تدريجياً من الإشارة إلى مَضارِّ التحريم.

التدرج في فرض الصيام والزكاة والحدود.

الحكمة منه: لتمهيد النفوس، وتهيئة المجتمع لتقبل الأَحكام دون تنفير أو حرج.

2. التدرج في التبليغ والتعليم

المقصود به، مراعاة المُخاطَب ومرحلة فهمه، والبدء بالأهمِّ فالمهمِّ في الدَّعوة والتعليم.

الأمثلة: قول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عندما أرسله إلى اليمن " أدعهم إلى شهادة أن لا إله إلّا

الله، فإنْ هم أطاعوك فأخبرهم أَنَّ الله افترض عليهم خمس صلوات..." متفق عليه.

تقديم الأخلاق واللين في الدعوة قبل الإنكار الشـــديد كما قال الله تعالى " أدع إلى سـبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسـنة " النحل 125، الحكمة منه، ضـــمان قبول الحق وعدم تنفير الناس بالعجلة أو التشديد.

3. التدرج في التطبيق

المقصـــود به، تطبيق الأحكام الشرـــعية وفقاً للاســـتطاعة المـاديـة والمعنويـة، ومراعـاة المـالات وموازنـة المصـــالح والمفاسـد، قال الله تعالى " فاتقوا الله ما اسـتطعتم " التغابن 16.

قوله صلى الله عليه وسلم " لا تُقطع الأيدي في الغزو" رواه أبو داود، لما يترتب على تطبيق الحد في هذه الحالة من مفاسد.

الضوابط:

الاستطاعة المادية: كالقدرة بوجود السلطة الشرعية.

الاستطاعة المعنوية: مثل الأمن من الفتنة أو المفاسد الأعظم كتطبيق حدٍّ يؤدي إلى فتنة المصلحة والفساد فلا يقدم على فعل يترتب عليه فساد أكبر عملاً بقاعدة " درء المفاسد مقدم على جلب المصالح "

الأثار المترتبة على إهمال التدرج

في الدعوة: مراعاة التسرع أو التنفير من الدين وتمزيق المجتمع

في التطبيق: تطبيق الأحكام دون مراعاة الظروف يلد ردود فعل عكسية.

في الفتوى: الإفتاء بغير علم أو دون اعتبار للواقع يحدث فوضى في الدين كما قال ابن القيم رحمه الله:

" إنَّ الشريعة مبناها على الحِكَم ومصالح العباد "

خاتمة القول:

التدرج ليس تنازلاً عن المبادئ، بل هو منهج حكيم يحقق مقاصد الشريعة في الإصلاح والرحمة.

وقد حذَّر النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:

" إنَّ هذا الدين يسر ولن يشادَّ الدين أَحدٌ إلّا غلبه " رواه البخاري فالعمل بالشريعة يجب أن يجمع بين الثبات على الأصول ومراعاة الواقع تحقيقاً لقوله تعالى:

" وجاهدهم به جهاداً كبيراً " 52 الفرقان أي بالقرآن والحكمة، لا بالعنف والعجلة.

" الرسالة التاسعة "

انعكاسات العولمة على التصديق بالغيب!

لا تزال الرأسمالية تبتكر أساليباً متجددة في غزوها الفكري ساعيةً على ترسيخ هيمنتها العالمية وإقصاء أي توجهات منافسة، خاصة إذا وقفت عائقاً أمام مصالحها، ومن أبرز أدواتها التوسعية نشر ثقافة العولمة، التي تظهر للوهلة الأولى وكأنَّها مشروع إصلاحي يعزز السلام العالمي، بينما جوهرها يُدمِّر الهويات ويُذيب الثقافات لصالح النموذج الأوحد.

وفي خضم الهيمنة الغربية وتزيينها إعلامياً، قد نجد أَنفسنا منغمسين في حضارتهم دون إدراك لمخاطر هذا الاندماج، حيث نستورد بلا وعي أَنماط حياتهم وقيمهم ومفاهيمهم، ومن هنا تبرز أهمية الكشف عن الآثار المدمرة للعولمة، خاصة الجانب العقدي لدى المسلمين، حيث يتأثر الإيمان بالغيب بشكل عميق تحت وطأة هذه الموجة الثقافية الغازية.

أثر العولمة على الإيمان بالله

أَثرُ الإيمان بالله موضوع مهم يتطلب تحليلاً دقيقاً في ظل انتشار وسائل الترفيه الرقمي مثل الأَلعاب الإلكترونية التي قد تحمل أَفكاراً تتعارض مع العقيدة الإسلامية.

العولمة ونشر الأفكار

العولمة تُسهِّل انتقال الأفكار والثقافات عبر الحدود، بما فيها من أَفكار التي تروِّج لرؤى فلسفية تتعارض مع الإيمان مثل الإلحاد أو العدمية أو تُقدِّم مفاهيم بديلة عن الخالق، خاصة

الألعاب الإلكترونية التي تؤثر على عقليات الشـــباب في مراحل تكوين الهوية.

المخاطر الشرعية

الانتهاك العقدي: مثل الألعاب قد تسبب الشرك الخفي كاعتقاد تأثير اللاعب كخالق أو التشكيك في صفات الله.

التطبيع مع الرموز المشبوهة

مثل العين الماسونية أو شعارات الإلحاد، التي تغذّي ثقافة معادية للدين.

تأثيرها على النشء: قد تنمّي لدى الأطفال والمراهقين مفاهيم مضـــللـة عـن الـكـون والإلـه إذا لـعـبـت دون تـوجـيـه نقدي.

موقف الإسلام من هذه الظاهرة

التحذير من الشرك والفكر الإلحادي:

قال الله تعالى:

" ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولُنّ الله "

لقمان 25.

حماية العقيدة

التربية الإيمانية:

يجب على المسلم أنْ يحذر من كل ما يُضعف إيمانه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدةٍ يُدار فيها الخمر " والقياس على كل وسيلة تُمَرّر أفكاراً ضالة.

كيفية المواجهة: تعزيز العقيدة الصحيحة لدى الشباب عبر تفسير أسماء الله الحسنى وصفاته، وبيان عظمة الخالق.

الرقابة الواعية اختيار الأَلعاب التي لا تحوي مضامين ضارَّة أو مناقشة أفكارها نقدياً مع الأبناء.

توفير البدائل تشجيع الألعاب المفيدة أو تلك التي تعزز القيم الإسلامية.

التوعية المجتمعية بيان خطر التطبيع مع الرموز الإلحادية أو الفلسفات المادية عبر المنابر والمواقع الإسلامية.

" الرسالة العاشرة "

العولمة!

هو سيادة النمط الغربي في الثقافة والاقتصاد والحكم والسياسة في المجتمعات البشرية أو فرض هيمنة أمريكية على العالم وبالأَخص العالم الإسلامي، يمكن أن نعتبر العولمة الاسم الحركي للأَمركة.

واتجاه لفرض مبادئ الرأسمالية كما يقول صاحب كتاب فخ العولمة في تعريفها: انصهار العدد الهائل من الاقتصاديات القرويَّة والإقليمية والوطنية في اقتصاد عالمي شمولي واحد.

وقد ظهرت العولمة بمفهومها الجديد في القرن العشرين مع ظهور ما يسمى بالنظام العالمي الجديد وهذا النظام يؤدي إلى إزالة الحدود بين الدول وتذويب القيم الثقافية والدينية، حتى يتسنَّى لأمريكا تقسيم العالم إلى مناطق على أَساس جغرافي سياسي في ظل اقتصاد مبني على قوة السوق، وعلى أَساسه تضمن أمريكا إِعطاء الأَولوية الكبرى لمصالحها الاقتصادية والأَمنية والعسكرية.

أَهداف العولمة

أَهدافها هي إخضاع الدول لهيمنتها في هذه المجالات:

1.الهدف الاقتصادي: هو السيطرة على رأس المال وربطه بالاقتصاد الأَمريكي عن طريق أدوات ومنظمات مثل الشركات

المتعددة الجنسيات ومنظمة التجارة العالمية والبنك المركزي الدولي وصندوق النقد العالمي.

2. **الهدف الثقافي:** من أَجل فرض ثقافة المستعمر وذلك بالسيطرة على الإدراك وتعطيل ملكة العقل والتفكير، والتشويش على نظام القيم وقولية السلوك.

3. **الهدف الاجتماعي:** نقل قيم المجتمع الغربي عموماً والأمريكي خصوصاً وجعلها مثالاً للدول الأخرى واقحام المرأة لتكون أداةً لتطويع الشعوب الإسلامية للهجمة الثقافية الغربية.

وتسعى العولمة أَيضاً لصنع رموز في المجتمع يُروِّجون للمناهج المناوئة للهوية الإسلامية سواء باسم الأدب أو الفنّ أو السياسة أو الاقتصاد أو التربية إذ تمنح لهؤلاء الجوائز العالمية كجائزة نوبل التي منحت لنجيب محفوظ وأُدونيس.

وسائل نشر العولمة

المؤسسات السياسية: للعولمة مؤسسة واحدة وهي منظمة الأمم المتحدة ويدرج تحتها هيئات ومؤسسات تابعة لها وأحد أَبرز أَهدافها حفظ السلم والأَمن الدوليين، ولكن استطاعت أَمريكا التأثير عليها وعلى مؤسساتها التابعة لها.

المؤسسات الاقتصادية

1.البنك الدولي وصندوق النقد الدولي

وظيفتها الإشراف على النظام الدولي للنقد، لكن تحولت وظيفتها وسياستها إلى فرض عقوبات وسياسات اقتصادية على الدول الفقيرة وتقديم قروض اقتصادية لهذه الدول من

أجل دعم مشاريعها التنموية في الظاهر والتحكم في هذه الدول والتدخل في شؤونها الداخلية في الباطن.

2. منظمة التجارة العالمية هي أخطر المؤسسات المعنية بالعولمة باعتبارها المشرفة على نظام التجارة في العالم الجديد وهي تتمتع بسلطات تفوق الحكومات، ويمكنها إلغاء بعض القوانين من خلال الاتفاقات الدولية وتحجيم دور الدول في التحكم في إدارة الاقتصاد الوطني.

3. منتدى دافوس

رؤساء الدول الكبار، وكبار الاقتصاديين في العالم، وهي إحدى أهم الوسائل الاقتصادية التي تُعمّق تيار العولمة وتضمن استمرارها والترويج لها.

4. الإعلام الموجه

منظومة متكاملة الأدوات والسبل والوسائل تشكل قوة ضغط كبيرة وفاعلية هائلة حيث تستطيع أن تصل إلى الجميع وتقدم صوراً مبهرة لعالم آخر ويخترق الحواس والعقول عبر ما يستطيع أن يقدمه متجاوزاً كل الممنوعات والمحرمات وأخلاقيات المجتمع ثمَّ فرض صورة جديدة ونمط جديد للحياة وطرائق التفكير، وإنّ ممّا يزيد من خطورة العولمة هو أنَّ ذراعها الإعلامي خاضع للسيطرة الصهيونية والتي جعلت مهمة الإعلام ترسيخ القيم والمفاهيم وأنماط السلوك الغربية.

5. العقوبات الاقتصادية

هي الأسلوب الذي تتبعه الولايات المتحدة الأمريكية في حل صراعات التي تحدث خارج أمريكا، وذلك من خلال فرض عقوبات اقتصادية على الدول التي تختلف معها سياسياً واقتصادياً مع فرض قوانين أمريكية من طرف واحد وإجبار الدول الأخرى على الالتزام بقوانينها لتتحول إلى مصدر للتشريع الدولي بالنسبة لبقية الدول.

6. منظمة اليونسكو وهي إحدى المنظمات التابعة للأمم المتحدة، ومقرُّها باريس لإيجاد رؤية ثقافية عالمية لتكون جزءاً من النظام العالمي في التعليم والثقافة.

الآثار السلبية للعولمة

الآثار العقدية من أهم الأسس التي تقوم عليها العقيدة الإسلامية الإيمان بالغيب، وهو يشمل الإيمان بالوحي والنبوة والبعث والجزاء والحساب والجنة والنار، وهذه العقائد لا وجود لها في العولمة الثقافية.

اضعاف الانتماء إلى الدين وعلاقة الفرد بأمته ومسخ هويته ليذوب في منظومة العولمة ولا شيء أضرَّ من محو شعور الشخص بالانتماء الحقيقي لدينه ومعتقده وثقافته، ادعاء استعلاء الثقافة الغربية وأفضليتها على الثقافة الإسلامية، ونشر الأفكار والعقائد والعادات السيئة بأحدث التقنيات وأسرع وسائل الاتصال.

الآثار الاجتماعية

تغيّب المبادئ الأسرية والقيم الاجتماعية التي جاء بها الإسلام في العلاقة بين الرجل والمرأة وتشريعات الزواج والطلاق،

وفرض مفهوم المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات والحياة العامة، النظر إلى المرأة باعتبارها سلعة ووسيلة للتسويق والمتعة والدعايات، إفساد الأنماط السلوكية المتعارف لدى الشعوب وخاصة الشعوب الإسلامية في الملبس والأزياء والترويج للعادات والتقاليد الغربية في طريقة اللباس وقص الشعر وتغيير الخلقة وصرف الشباب إلى الانغماس في ممارسة هوايات هابطة كالرقص والغناء.

مخاطر العولمة

تسعى العولمة إلى تعميق التعلق بالحياة الدنيا ومظاهرها المادية والانكباب على شهواتها الحسية وانتشار المفاسد الأخلاقية والدعوة إلى التبرج والسفور واستعمال الجسد الغرائزية وتدمير الأسرة عن طريق تسهيل للمرأة سلعة للإثارة الوصول إلى الفاحشة وانتشار العلاقات المحرمة والتقليل من قيمة الزواج، وإلغاء الفوارق الطبيعية بين الرجل والمرأة والدعوة إلى المساواة بينهما في الحقوق والواجبات مطلقاً، وإعلان شأن الملكية الفردية والحرية المطلقة المنغلقة من أحكام الشرع وقيم المجتمع.

" الرسالة الحادية عشرة "

ظاهرة الإرجاء في الواقع المعاصر!

" ليس من الأهواء شيء أخوف عندهم على الأمة من الإرجاء"

الإمام الأوزاعي رحمه الله

لا زلنا نعاني من هذه البدعة في هذا العصر ولا تزال تُدرَّس في كثير من المعاهد والجامعات إضافة إلى تسرب مظاهر سلوكية وفكرية تتوافق مع أصول مذهب المرجئة، حتى وجدنا من يبرر لكثير من المنكرات، ووجد من يُسوّغ لكثير من الأهواء ومهوِّناً من بعض مظاهر الكفر والفجور، كل ذلك سببها ظاهرة الإرجاء، بل من يدعو إلى هذا المذهب صراحة بدعوى أنَّه السبيل الأنجح لمواجهة التكفير والغلو، يقوم الفكر الإرجائي في قاعدته الأساسية على الاعتقاد أنّه لا يضرُّ مع الإيمان شيء، وأنَّ الإيمان باللسان وتصديق بالجنان مع إخراج العمل من مسمى الإيمان، وقد ساهم هذا الفكر بشكل سيء في توسيع دائرة الانفلات من الالتزام الشرعي والتحلل من تكاليف الإيمان، والتغافل عن مقتضيات التوحيد ولا تزال هذه البدعة موجودة ومستمرة إلى وقتنا هذا وتفشّت في مجتمعاتنا كظاهرة فكرية ناشئة التي يخفى على كثير من المسلمين، من المعلوم أنَّ الظاهرة أعمُّ من العقائد لأنَّها تشمل الأفكار والعقائد والسلوك ونحو ذلك، ممّا يكون ظاهراً وبارزاً، قديماً أنكر السلف على من أخرج العمل من الإيمان انكاراً شديداً وجعلوه من الأقوال المحدثة المردودة على صاحبها، يقول سفيان الثوري رحمه الله " هو رأي محدث أدركنا الناس على غيره " يقول الإمام

الأوزاعي رحمه الله " وكان من مضى من السلف لا يفرقون بين العمل والإيمان " وقيل لسفيان بن عيينة رحمه الله " أنّ قوماً يقولون الإيمان كامل فقال: كان هذا قبل أَن تنزل الأَحكام، فأُمر الناس أنْ يقولوا لا إله إلّا الله فإذا قالوها عصموا دماءهم وأموالهم، فلمَّا علم الله صدقهم أَمرهم بالصلاة ففعلوا ولو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار، فذكر الأَركان إلى أن قال فلمَّا علم الله منهم تتابع عليهم من الفرائض وقبولهم قال " اليوم أكملت لكم دينكم " فمن ترك شيئاً من ذلك كسلاً أو مجوناً أدبَّناه عليه وكان ناقص الإيمان ومن تركها جحوداً كان كافراً، ويقول ابن تيمية رحمه الله " والسلف اشتدَّ نكيرهم على المرجئة لمَّا أخرجوا العمل من الإيمان، وقالوا أنَّ الإيمان يتماثل الناس فيه، ولا ريب أنَّ قولهم بتساوي إيمان الناس من أفحش الخطأ، بل لا يتساوى الناس في التصديق ولا الحب ولا الخشية ولا في العلم، بل يتفاضلون من وجوه كثيرة " إنَّ دراسة حياة الصحابة رضي الله عنهم والتابعين توصل إلى نتيجة يقينية بأنَّهم لم يكونوا يفرقون بين الإيمان والعمل، بل أنَّ الإيمان وعمق اليقين استقر في قلوبهم أطلقت جوارحهم بالعمل البنّاء المثمر، وجعلهم يُسطُّرون بفاعليتهم وحركتهم صفحات مشرقة في ميادين الفضيلة ودروب الخير والبر، فما الذي حمل حنظلة غسيل الملائكة رضي الله عنه على مفارقة فراش زوجه الوثير في ليلة عرسه، وهو القادر لو شاء أن يلتمس الأعذار ما يعفيه من اللحاق بقافلة المجاهدين؟ وما هي الدوافع التي حمل أولئك الكرام على التسابق في الإنفاق والتنافس في البذل والعطاء، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه " أَمرنا رسول

الله أن نتصدق فقلت اليوم أَسبقُ أَبا بكر أَنْ سبقته يوماً، فجئتُ بنصف مالي وأَتى أَبو بكر ما عنده فقال: له النبي صلى الله عليه وسلم يا أَبا بكر ما أَبقيتَ لأهلك؟ قال: أَبقيتُ لهم الله ورسوله " رواه أبو داود والترمذي والحاكم.

إنَّ الإيمان قوة دافعة ومحركة، وحينما يفهم على أنّه مصدر اشعاع ومفجر طاقات، فإنَّ رياحه حينما تهبُّ تأتي الأعاجيب وتغير مجرى التاريخ، وتحدث انعطافاً جادّاً في مسيرة الزمن وماذا يبقى للإيمان من دور فاعل في الحياة حينما ينحصر في التصديق والإقرار؟ وهل ثمَّة إيمان قلبي تام لا يلازم عمل بدني ظاهر؟ ثم أليس الإيمان القلبي يستلزم الأعمال الظاهرة؟ لقد كان لاختلال مفهوم الإيمان وتسرب مقولات الإرجاء إلى تصورات المسلمين ومن ثمَّ انعكاسها على سلوكهم تأثير بالغ وكبير في انطفاء فاعليتهم، وجحود حركتهم، ويقوي ذلك ويزيده استقراراً ورسوخاً ذلك النمط من المفكرين ذوي السوابق غير الإسلامية حينما يتحولون إلى دائرة الفكر الإسلامي، حيث أنَّهم يسلمون فكرياً مع عدم التحرر الكامل من أصولهم الفكرية السابقة، فيبقى إسلامهم مشوباً بكدورات الماركسية والعلمانية والليبرالية أمَّا إسلام العمل والالتزام فغالبهم من غلاة المرجئة، حتى بتنا نعيش فتنة فصل الدين عن الحياة، وحبسه تحت قباب المساجد وحصره ببعض حصص مادة التربية الإسلامية في المدارس ونحن في زمن الانحرافات في الفكر والسياسة والاقتصاد والاجتماع.

يقرر المفكر الفرنسي الشهير الأكسيس كاريل " أنَّ الحياة جدّ وعمل وأنّ العضلات والأعضاء والذكاء والإرادة وكل أجزاء

الكائن البشري لا تقوى إلّا بالعمل " هذا ردّ على من يخرجون العمل من مسمى الإيمان، والعمل الإسلامي ينطلق من مبدأ فهم الكتاب والسنة باعتباره المرجع الأساس في النظرية والتطبيق وباعتباره الدَّواء الحقيقي لجميع الأَمراض التي لحقت بالأُمة الإسلامية، ومن هنا كان واجباً عليه أن يستخلص من هذا الفهم طريقة المعالجة التي لا تأتي إلّا من خلال العمل الدؤوب والفاعلية المتوقدة في جميع قطاعات الأمة وأن ترى الأمة والناشئة على كيفية استثمار الوسائل المتوفرة لصنع شيء له قيمة في الحياة، وكيفية التعامل مع الأفكار النافعة والأفكار الضارة، وإيجاد الإنسان الذي يفكر ليعمل، لا ليقول كلاماً عاطفياً لا يقدم ولا يؤخر شيئاً في عملية البناء والتغيير، وعليه كذلك أن يربي أبناء الأمة على سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم التي اتسمت بالفاعلية في الفكر والعمل منذ اليوم الأول الذي سمع فيه الرسول صلى الله عليه وسلم كلمة " اقرأ " التي تبعتها كلمة " قم " فكان أن مارس القراءة التي تعني الفهم عن الله سبحانه وتعالى طيلة حياته، ومارس القيام الذي يعني التطبيق لهذا الفهم حتى التحق بالرفيق الأعلى، لقد كان العمل عنصراً أساسياً في التربية النبوية لكونه عاملاً يجسد القيم إلى حقائق واقعية، ولأهميته الأكيدة في عملية البناء والتكوين الحضاري، ومن هنا حرص النبي صلى الله عليه وسلم على ربط المفاهيم بالعمل، والعقائد بالسلوك، وكان هذا كله منبثقاً من فهمه للمنهج القرآني الذي يرى أنّ التاريخ صناعة بشرية بقضاء الله وقدره، وأنّ الإنسان هو المنفذ الحقيقي للقضاء والقدر، وأنّه يجب عليه أن يعمل مع ما لديه من وسائل لتحقيق

المنافع، وجلب المصالح التي يقتضيها الاستخلاف وعمارة الأرض.

إفرازات الإرجاء المقيتة في الواقع

1.التهوين من الالتزام بأحكام الشرع الظاهرة بحجة أنَّ الإيمان في القلب

فوُجد من الأمة من يرى أنَّ الالتزام بالأحكام الظاهرة ليس معياراً للصلاح، وأَنَّ الباطن هو المهم بحجة أَنَّ الإيمان في القلب، ومن ذلك الأَقوال أَنَّ إعفاء اللحية وتقصير الثوب للرجل هي من المظاهر التي لا تعني أَنَّ الملتزم بها أَفضل من غيره، لأَنَّ المعوَّل هو على نظافة القلب وسلامة الصدر والمعاملة الحسنة، كما وُجد من يزعم أَنَّ التزام المرأة بالحجاب ليس دليلاً على العفة، فكم من متحجبة في زعمهم تخفي وراء حجابها كثيراً من السوء والفساد؟! وتلتقي هذه الدعوة مع ما يُروِّج له كثير من العلمانيين من تقسيم الدين إلى قسمين: شكليات وقشور، وثانيهما جوهر ولباب، وهذا المظهر ثمرة لعقيدة الإرجاء الذين أخرجوا العمل من مسمى الإيمان، وهوما أنتج نفيهم للتلازم بين الباطن والظاهر حتى وإن أقرَّ بعضهم بأنَّ العمل الظاهر ثمرة للإيمان في القلب.

2. الاضطراب في مفهوم لا إله إلّا الله

إنَّ إخراج العمل من مسمَّى الإيمان أَدَّى إلى اضطراب مفهوم كلمة التوحيد عند كثير من المسلمين حتى أَصبح لا يعني أَكثر من لفظ مجرد باللسان، ويغفل هؤلاء أَنَّ الشهادة ليست مجرد كلمة تقال، وإنَّما هي شهادة لها مقتضياتها ولوازمها، ولها

مدلولها الصريح بأنَّه لا معبود بحق إلّا الله ولا طاعة إلّا له وحده لا شريك له، فتجذّر مظاهر الشرك المناقضة لهذه الكلمة من ذبح ونذر واستغاثة ودعاء وتحاكم وتشريع لغير الله يقوم بها من ينطق بهذه الكلمة وهو لا ينقضها، لأَنَّ الإيمان عنده تصديق بالقلب وإقرار باللسان ثم يرد معنى هذه الكلمة إلى توحيد الربوبية وهو اعتقاد أَنَّ الله هو الخالق وحده وتجرد هذه الكلمة من معناها العملي المتمثل في أَعمال القلوب والجوارح، وقد يستدل بعضهم بمثل حديث عتبان رضي الله عنه وفيه قوله صلى الله عليه وسلم " إنَّ الله حرَّم على النار من قال لا إله إلّا الله يبتغي به وجه الله" ويُجاب عن ذلك بأنَّ المنهج السليم في التعامل مع النصوص الشرعية هو ضمُّ بعضها إلى بعض والنظر إليها جملة، وردُّ متشابها إلى محكمها، لأَنَّ جميعها جاءت من مشكاة واحدة، وبالنظر في النصوص التي ورد فيها تعليق دخول الجنَّة بمن قال كلمة التوحيد نجد أَنَّ النصوص المطلقة قد جاءت مقيدة في أحاديث أخرى، ففي بعضها " أشهد أَنْ لا إله إلّا الله وأنِّي رسول الله لا يلقى الله بهما أَحد غير شاكٍّ فيهما إلّا دخل الجنة " وفي بعضها " أَسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلّا الله خالصاً من قلبه أو نفسه " كما جاءت أحاديث كثيرة تفيد أَنَّ الشهادتين تعني عبادة الله وحده وترك الشرك وإنَّما التلفظ عنوان ذلك ودليله، فكم هو مؤلم منظر أولئك وهم ركع وسجد على أَعتاب قبرٍ ربَّما بينهم من هو خير من ساكنه في حياته فأحرى أن يكون كذلك بعد مماته.

3. حصر الكفر في اعتقاد القلب

وهذا مبني على القول بعدم دخول العمل في مسمى الإيمان، وأنَّ الإيمان هو التصديق بالقلب ومن ثمَّ الكفر لا يكون إلّا باعتقاد القلب إمَّا بالتكذيب أو الجحود أو الاستحلال ونحو ذلك وما كان فعلاً أو قولاً على أنَّه كفر فإنَّه ليس كفراً بنفسه وإنَّما هو علامة على الكفر، ومن هذه العقيدة الإرجائية نشأ التوسع في استخدام شرط الاستحلال حتى اشترطوه في أعمال الكفر الصريحة كإهانة المصحف وسبِّ الرسول وإلغاء شريعة الله فقالوا لا يكفر فاعلها إلّا إذا كان مستحلاً بقلبه! واشترط بعضهم مساءلة المرتد قبل الحكم عليه فإنْ أقرَّ أنَّه يعتقد الكفر كفر، وإنْ قال إنَّه مصدق بقلبه ويعتقد أنَّ الإسلام ممَّا هو عليه من الردة لم يكفروه! وكون الكفر لا يكون إلّا بالاعتقاد في القلب يردّه أُمور منها الاجماع على عدد من المكفرات القولية والعملية المعروفة وكثير منها لا يتضمن التكذيب بالقلب، مثل سبِّ الله ورسوله أو السجود لغير الله أو الذبح لغير الله ونحو ذلك.

4. التهوين من شأن عدم تحكيم الشريعة

وهذا ناتج من إخراج العمل من مسمَّى الإيمان وحصر الكفر في القلب وبناءً عليه عند من تأثر بالإرجاء فالحكم بغير ما أنزل الله بكل صوره ما دام صاحبه غير جاحد لوجوبه فهو كفر أصغر وهذا بلا شك من آثار الفكر الإرجائي حيث يحصر المرجئة الكفر بالجحود والتكذيب فقط، ولا يكفرون المعرض والممتنع ولا من يسنّ تشريعاً يناقض ما هو معلوم من الدين بالضرورة.

5. تسويغ الدعوة إلى العلمانية في المجتمعات المسلمة

لقد استغلَّ كثير من العلمانيين ذلك الأَثر الذي تركه الفكر الإرجائي على تصور كثير من المسلمين لحقيقة الإيمان، فقد ابتدع المرجئة القول بخروج الأَعمال من حقيقة الإيمان وعليه بات يكفي في الإيمان بتصديق وقول، اتسعت المساحة التي يمكن أنْ يتحرك فيها العصيان والتبديل والانحراف بأَمان تاركاً الإيمان قابعاً في زاوية ضيِّقة تسمَّى القول.

ونجد في المقام كثيراً من العلمانيين قد أَدركوا هذا المنفذ فزعم بعضهم أَنَّ العلمانية وما ينضوي تحتها من مذاهب وأَفكار لا تصادم الدين ولا تعارضه، بل هي عندهم اخراج للسياسة والتنظيم الاجتماعي من حيِّز الممارسة الدينية ليعود الدين بعدئذ إلى أَن يكون مجرد ممارسة شخصية فردية هذا فضلاً عمَّا افتراه بعضهم من القول بأَنَّ العلمانية ليست كفراً أو مروقاً من الدين، وإنَّما هي التأويل الحقيقي والفهم العلمي للدين وليست ما يروِّج له المبطلون من أَنَّها الإلحاد الذي يفصل الدين عن المجتمع والحياة ينظر كتاب **نقد الخطاب الديني نصر أبو زيد**، وقد ظهرت تحت هذه الدعاوى مسميات غربية وشاذة مثل الإسلام العلماني أو الإسلام الليبرالي وعلمانية مؤنسة وعلمانية ملحدة، بل زعم بعضهم أَنَّ العلمنة تكتسح اليوم تحت غطاء ديني وشعارات دينية كل أَرض الإسلام ولا أَحدَ يعلم ذلك، وهذه مغالطة ظاهرة لكل عاقل منصف، ذلك أَنَّ العلمانية لا تستدعي في حقيقة الأمر كبير جهد لبيان تناقضها مع دين الله الإسلام فهي من ذلك النوع من الاتجاهات

والأفكار التي ردَّها علماؤنا أنَّ تصوره وحده كافٍ في الردِّ عليه ينظر كتاب العلمانية سفر الحوالي.

وإنَّ الواجب على مسلم أن يعلم أنّه ما خُلق إلّا للعبادة وأنَّ العبادة كما عرفها ابن تيمية " اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة"

6. تسويغ الدعوة إلى التقريب بين الإسلام وأديان أهل اكتاب

وهذه الدعوة وإن كانت لها جذور تاريخية، إلّا أنّها أخذت زخماً كبيراً في هذا العصر.

7. الدعوة إلى حرية الاعتقاد وفق المفهوم الغربي.

8. الدعوة إلى إلغاء حد الردّة.

وهذا من نتائج المظهر الذي قبله ويتفق معه في وجه الارتباط بعقيدة الإرجاء.

" الرسالة الثانية عشرة "

المساواة في الفكر الليبرالي!

المساواة في الفكر الليبرالي لا تعني، العدل في التصور الإسلامي ولا تعني قط عدم التميِّز بين الأعراق والأَجناس كما نهى عن ذلك الإسلام، وإنَّما شيء آخر نشأ في ثقافة الغرب وضغوطاتها وانحرافاتها ونقله هؤلاء في صورته الآتية:

1.التسوية بين المسلم والكافر

يستوي عندهم المسلم والكافر في الحقوق والواجبات تماماً ولا يتميز أَحدهم على الآخر في تعاملات الدولة أَو تعاملات المجتمع وفي ذلك يدعو سيَّار جميل إلى " المساواة بين المواطنين مهما كانت أَديانهم " ينظر مقال بعنوان " الثورة الديمقراطية هل يدركها العرب " موقع الحوار المتمدن 2004/7/1، يمتدح العفيف الأخضر رئيس وزراء تركيا رجب أردوغان لأَنَّه نفذ شرط الاتحاد الأوروبي للحاق تركيا به، الالتزام بالقيم الأوربية مساواة المسلم بغير المسلم، مساواة الملحد بالمؤمن في حقوق المواطنة الكاملة، ينظر مقال على هامش رسالتي إلى أردوغان الحل العادل للمسألة الكردية نشر في موقع الحوار المتمدن 2006/4/24. والتسوية بينهم في الأحوال الشخصية بتوريث الكافر من المسلم أو المسلم من الكافر ينظر كتاب كيف نجفف منابع الإرهاب.

وهذا التصور للمساواة بشكل جذري للعدل الإلهي الذي يلغي المساواة بين الكافر والمؤمن قال تعالى " أَفمنْ كان كافراً كمن كان مسلماً لا يستوون " السجدة 18، والقرآن يتعجب من أولئك الذين يسوون بين المتقي والفاجر قال تعالى " أَمْ نجعل

الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أمْ نجعل المتقين كالفجار " ص 28، وينص القرآن على التفريق بينهم في الدنيا والآخرة قال تعالى " أمْ حسب الذين يجترحون السيئات أنْ نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون " الجاثية 4، وقد جاءت أَحكام الكتاب والسنة بالتفريق بين المسلم والكافر في عدد من التشريعات كالجزية وعدم قتل المسلم بالكافر ودية الكافر على نصف من دية المسلم والمنع من نكاح الكافر للمؤمنة ومنع إحداث الكنيسة، وعدم بدئه بالسلام وغيرها من أحكام أهل الذمة التي فيها التفريق الظاهر بين مسلم وكافر، مقتضاه العدل الإلهي.

2. التسوية بين الرجل والمرأة

المرأة كالرجل في شتَّى مظاهر الحياة مساوية له مساواة تامة عندهم ففي فقرات التي حدد بها شاكر النابلسي هوية الليبراليون يقول في الفقرة الخامسة والعشرين المطالبة بمساواة المرأة مع الرجل مساواةً تامةً في الحقوق والواجبات والعمل والتعليم والإرث والشهادة والتوظيف " ينظر كتاب الليبراليون الجدد شاكر النابلسي ص25.

ويوافق كمال غبريال على ذلك فيقول يترتب على المناخ الليبرالي سنّ التشريعات الحديثة التي تساوي تماماً بين المرأة والرجل ينظر كتاب الليبرالية الجديدة كمال غبريال.

وهؤلاء يريدون من المسلمين الانحراف بدرجات أَعمق من انحراف البلدان التي أَخذَ هؤلاء عنها انحرافاتهم، ومن نماذج المحادة لله ورسوله في خطاب الليبراليين تعليقهم الفلاح

والنجاح العربي على المساواة بما تولّي المرأة للرئاسة وهم يعرفون الحديث الذي ينفي ذلك " لن يفلح قوم ولوَّا أمرهم امرأة " أخرجه البخاري، ومن صور المساواة عندهم زواج المسلمة من الكافر وفي ذلك يقول العفيف الأخضر كل ما نريده نحن هو المساواة بين شهادتي الرجل والمرأة، ونسخ هذه الآية الكريمة " ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا " البقرة 221.

هكذا نسخها بالهوى عبثاً ومتابعة للغرب، ومن صور المساواة عندهم التسوية في الإرث بين الرجل والمرأة، ومن لوازم المساواة عندهم إلغاء القوامة التي شرعها القرآن تقول رجاء بن سلامة لم نعد في عصر القوامة لأنّ النساء خرجْنَ للعالم أصبحت جديرات بالمساواة التامة، ومن توابع إلغاء القوامة امتلاك المرأة حق تطليق الرجل، وفي ذلك تعدد رجاء بن سلامة مميزات القوانين بتونس إذ منحت للمرأة حق الطلاق بدون سبب ولا شرط وغير ذلك من مناظر المساواة.

3. مساواة الشواذ جنسياً بالأسوياء

أكدت رجاء بن سلامة على هذا النوع من المساواة ينظر دراسة الجندر في العالم العربي منشور في الحوار المتمدن 22 / 9 / 2004 إنَّ تعليق الصعود والرقي الحضاري بمبدأ المساواة في صورته الغربية فكرة ساقطة والواقع يكذبها، فهذه أمريكا عزمت تفوقه على البشر في الحرب العالمية الثانية والسود ممنوعون من دخول مراكز البيض العامة، بل حتى حماماتهم يمنعون منها، وبعضهم تقام لهم المشانق إذا رفع عينه إلى امرأة بيضاء وعزمت شيئاً من هذا التوفق، وبداياته في الحرب الأولى والأسود يشنق لأنَّه أسود، والمرأة لم تعط حتى التصويت

حينها هذا في تفوق الأُمم الكافرة على بعضها، أَمَّا في تفوقهم علينا وهذا ما يريده هؤلاء فإنَّ البريطاني عندما كان يضع قدمه على شواطئنا مستعمراً على قولهم كان عبده الأَسود الذي اختطفه من أفريقيا يركع ليلمع له حذاءه، وفي داخل السفينة كانت المرأة التي اختطفها من إحدى الشواطئ تعد له سريره إذا عاد وأيضاً هناك عدوان الأُوروبيين والأَمريكان على اليهود وعدوان الأَمريكان على الهنود الحمر الذي استمر بغضه إلى يومنا هذا وهذا في مساواة أَصحاب الملل الأخرى، ببغض من غير المسلمين، أَمَّا التمييز ضد المسلمين فهو حاصل اليوم بصور متكررة في أَمريكا وأُوروبا ومع هذا فهم متفوقون علينا، بل إنَّ إحدى أَشكال تفوقهم هي ممارستهم التمييز علينا كما في غزو العراق وأَفغانستان بحجة محاربة الإرهاب ومصادرة أَسلحة الدمار الشاملة، في حين يتجاهلون دولة اليهود التي تقتل وتصادر وتملك من الأَسلحة المتقدمة أَنواعاً تشتري منها أُوروبا، وأَصل مبدأ المساواة إلحادي كفري، وهو أَنّ الأَديان قابلة للصواب والخطأ، وعليه فإنَّه لا تمييز لأَحدهما على الآخر لذلك تبقى في درجة واحدة هي والمؤمنون بها، وهذا التصور كفر بالإسلام.

" الرسالة الثالثة عشرة "

الرأسمالية!

نظام اقتصادي قائم على مبدأ حرية الفرد في التملك والكسب والانفاق من غير مراعاة في ذلك كله لدين أو خُلُق أو مصـــلحة عامة.

نشأتها:

مَرَّت أوروبا بفترة مظلمة تمثلت بطغيان متعددة الوجوه، طغيان مالي وفكري وروحي من الكنيسة ورجالها الذين حَرَّفوا دين الله وشرعه فانتفضت الشعوب الأوروبية للخلاص من هذا الظلم، وانطلقت الدعوة إلى الحرية الفردية في كل مكان كرد فعل للطغيان الكنسي فسيطرت نزعة التحرر على مجالات الفكر والسياسة والاقتصاد وظهرت في مجال الاقتصاد الرأسمالية التي قامت على الحرية الفردية المطلقة.

أسباب الرأسمالية

1.انهيار النظام الاقطاعي الذي كان سائداً في المجتمع الأوروبي فترة القرون الوسط.

2.الاكتشافات الجغرافية الكبرى من أهمها القارة الأمريكية سنة 1493م أسفر عن اكتشاف مناجم الذهب واكتشاف رأس رجاء الصالح.

3.الاحتكاك بالحضارة الإسلامية أَثناء الحملات الصليبية التي كان لها أكبر الأَثر في تطور أوروبا.

أُسس الرأَسمالية

1.الحرية الاقتصادية للفرد في ممارسة النشاط الاقتصادي والانفاق والاستثمار الذي يناسبها وليس للدولة أي حق في التدخل ووضع القيود أمام الفرد.

2.الملكية الخاصة تعتبر الملكية حجر زاوية في النظام الرأَسمالي المطلق في تملك الأموال والإنتاج.

3.حافز الربح غاية النظام الرأسمالي هو الوصول إلى أكبر قدر ممكن من الربح عن طريق أي وسيلة ممكنة، حتى لو كانت ضارة بالمجتمع مثل الربا والميسر والخمر دون مراعاة اشباع الحاجات الأساسية أو الضرورية للبشر.

آثار الرأسمالية

1.سيطرة قلة من الأَفراد على سوق المال واحتكاره ممَّا يعطيها القدرة على فرض الأسعار والهيمنة على الاقتصاد.

2.التفاوت الكبير في الدخل والثروة بين أفراد المجتمع ممَّا يؤدي إلى انقسام المجتمع إلى فريقين: فريق يغرق في الترف والنعيم وهم قلة، وفريق يهلك من الجوع والحرمان وهم كثرة.

3.انتشار الظلم الربوي، وقد نما هذا النظام في مجال التطبيق العملي واستشرت في ظل المذهب الرأسمالي بحيث أصبحت أَحد أَهمّ سماته الأساسية.

4.إهمال الجوانب الأخلاقية والإنسانية في النظام الرأسمالي حيث يسعى إلى تحقيق أكبر قدر من الربح على حساب الأخلاق وحياة الإنسان.

5.تعاقب الأزمات الاقتصادية بصورة دورية.

6.إشـعال الحروب، فقد أَشـعلت الرأَسـمالية حربين عالميتين مدمرتين في قرن واحد.

حكم الرأسمالية

نظام وضعي يستمد قوانينه من غير شرع الله وحكمه، فالربا هو عموده الفقري وحرية الفرد المطلقة فيما يملك وفيما يكسب وفيما ينفق، تخضع لأهواء البشر وشهواتهم لا لشرع الله وأمره وتقوم على مراعاة المصلحة المادية لقلة من الأفراد ولا تعبأ بمصلحة الجماعة، وشقيت البشرية وستشقى بالنظام الرأسمالي والاشتراكي، ولن يجد المجتمع الكفاية والأمان إلّا في ظل الإسلام، حيث من مبادئه أنَّ المال لله سبحانه، والإنسان مستخلف فيه فلا يملك إلّا ما أباحه الله له ولا يستخدم من وسائل الكسب إلّا ما أحله الله له ولا ينفق إلّا وفق أمر الله سبحانه.

في المجتمع الإسلامي يختفي ذلك الصراع الطبقي الذي يغديه النظام الرأسمالي فهو مجتمع متكافل عبر تشريعه الإسلامي في الزكاة والصدقات، والتزام الفرد بحقوق إخوانه واهتمام الراعي بمصلحة رعيته.

" الرسالة الرابعة عشرة "

العصرانية!

حركة سعت إلى تطويع مبادئ الدين لتتلاءم مع قيم الحضارة الغربية ومفاهيمها واخضاعه لتصوراتها ووجهة نظرها في شؤون الحياة وقد أُطلقت هذا في العالم الإسلامي على طائفة تلقت تعليمها في بلاد الغرب وحاولت تأويل نصوص القرآن والسنة حتى تتلاءم مع منهج الغرب وعلومه، ومن أبرز دعاة العصرانية أَحمد سيد خان حيث كان أول رجل في الهند الحديثة سعى إلى طرح آرائه التي يرى فيها ضرورة إيجاد تفسير جديد للإسلام يقوم على الحداثة والتقدم والتحرر وأنشأ مدرسته الفكرية القائمة على أساس تقليد الحضارة الغربية وأُسسها المادية واقتباس العلوم العصرية بحذافيرها وعلى علّاتها وتفسير الإسلام القرآن تفسيراً يطابقان ما وصلت إليه المدنية والمعلومات الحديثة في آخر القرن التاسع عشر.

الجذور الفكرية والعقدية للعقلانيين

ترجع جذور هذا المذهب إلى عصر الفلسفة اليونانية وقد بدأت كتيار وكمنهج فلسفي في الفلسفة اليونانية مع سقراط وأفلاطون فقد كانت العقلانية اليونانية لوناً من عبادة العقل وتأليهه واعطائه حجماً أكبر بكثير من حقيقته، وقد برزت العقلانية في الفلسفة الحديثة والمعاصرة على أيدي كثير من الفلاسفة الذين أثروا كثيراً في الفكر البشري من أمثال: رينيه ديكارت الذي يعده الكثيرون أبا العقلانية الحديثة لأنَّه اعتمد المنهج العقلي في إثبات الوجود عامة ووجود الله على وجه أَخص وذلك من مقدمة واحدة عدت من الناحية العقلية غير

قابلة للشك وهي أَنا أَفكر إذن أَنا موجود ومن أَمثال ليبتز الذي قال بأَنَّ كل موجود حي وليس بين الموجودات من تفاوت في الحياة إلّا بدرجة تميز الإدراك، والدرجات أَربع مطلق الحي أَي ما يسمَّى جماداً والنبات فالحيوان فالإنسان.

وفي المجتمع الإسلامي نجد المعتزلة يقترب من العقلانية جزيئاً إذ اعتمدوا على العقل وجعلوه أَساس تفكيرهم ودفعهم هذا المنهج إلى تأويل النصوص من الكتاب والسنة التي تخالف رأيهم، نشأت المدرسة العقلية الحديثة في نهاية القرن التاسع عشر على يد جمال الدين الأفغاني في مصر وأحمد سيد خان في الهند وكان سبب نشأتها محاولة النهوض بالعالم الإسلامي من التخلف العلمي والمادي في ظل الانبهار بالحضارة الغربية الماديَّة وكان التجديد والإصلاح في نظرهم يتمثل في المواءمة والتوفيق بين نصوص الشرع ومعطيات الحضارة الغربية وذلك بتأويل النصوص تأويلاً لا يعارض المفاهيم والنظريات الغربية السائدة مع إعطاء العقل المنزلة الأُولى في التعامل مع النصوص الشرعية من حيث القبول والردّ ومن حيث الفهم والتنزيل على الواقع.

معالمها

1. تقديم العقل على النصوص الشرعية، بل ومحاكمة النصوص إلى العقل.
2. الجهل بالعقيدة، دراسة غالبهم في مدارس أَجنبية واهتمامهم بدراسة عقائد الفرق المنحرفة.

3.معارضة النصوص الشرعية ولا سيِّما السنة النبوية إمَّا بإنكار حجيتها أو عدم قبول ما سوى التواتر أو تأويلها بمقتضى عقولهم وأهوائهم وخلفياتهم العلمية.
4.ردّ جملة من الأَحكام الشرعية بدعوى أنَّها أَحكام مرحلية يقول: أَحدهم علينا اعتبار كل الأحاديث المتعلقة بالحلال والحرام والحدود التي لم يرد نص فيها من الكتاب على أنّها أَحاديث مرحلية مثل الغناء والموسيقى والتصوير واعتبارها أحاديث قيلت في حينها حسب الظروف السائدة محمد شحرور الكتاب والقرآن.
5.الطعن في الثوابت والأُصول الشرعية يقول أَحدهم " الفقه الإسلامي كما صاغه لنا الفقهاء في القرنين الثاني والثالث الهجريين وكذلك العلوم القرآنية بحاجة ملحة إلى إعادة النظر وخاصة فيما يسمى بالأحكام الشرعية وأدلتها والتفكير بصياغة شرعية جديدة بعد شرعية الخلافة محمد شحرور الكتاب والقرآن.
6.الأَخذ بالمناهج الغربية خصوصاً مناهج المستشرقين حيث يسعى أصحاب هذه المدرسة إلى تقليد نظام الحياة الغربية والمنهج الاستشراق المتزمت بأدوات منهجية جديدة لا عهد للفكر الإسلامي بها. محمد شحرور تجفيف منابع الإرهاب.
7.عدم الالتزام بالضوابط الشرعية والدعوة إلى حرية مطلقة.
8.التلاعب بالنصوص الشرعية وادعاء أنّها تقبل جميع القراءات وتخضع لجميع المناهج.

9.نقد العلوم الشرعية حيث يسعى أتباع هذه المدرسة إلى نقد العلوم الشرعية وعدم تسليم بقواعد هذه العلوم وتحريف معانيها.

10.الدعوة إلى حرية الاعتقاد يقول أحدهم " الإســـلام يدعو إلى حرية الفكر والعقيدة إلى آخر مدى.

آثارها

1.إنشاء مؤسسات لنشر آرائهم وأفكارهم وتشكيل ثقافة كثير من المجتمعات وفق أهدافهم ومن أمثلتها: مؤسسة ابن رشد للفكر الحر في أَلمانيا، ومركز الدراسات العربية في لبنان.

2.تسخير كثير من الإعلام ووسائله المختلفة من قنوات فضائية ومجلات بحثية ومواقع إلكترونية لترويج آرائهم وثقافاتهم ومن أمثلتها: مجلة التسامح ومجلة منبر ابن رشد للفكر الحر التابعة لمؤسسة ابن رشد وموقع تنوير وموقع أوان ومنتدى العقلانيين العرب.

3.التدريس في عدد كبير من الجامعات ممّا ساعد على ترسيخ أفكارهم ومبادئهم في جيل الشباب.

4.إقامة ندوات ومؤتمرات لبث مفاهيمهم.

" الرسالة الخامسة عشرة "

مكانة النقل والعقل في الاستدلال على المسائل الاعتقادية

منهج الفلاسفة!

يعتمد الفلاسفة على العقل وحده في فهم العقائد، دون الرجوع إلى الوحي، إذ يرون أَنَّ الفلسفة تبحث عن المعرفة لذاتها بدافع عقلي محض، أمَّا الفلاسفة المسلمون فحاولوا الجمع بين الفلسفة والدين، لكنَّهم اعتبروا الوحي أَداةً رمزية لإصلاح العامة، لا مصدراً للحقائق العقلية، وعند استدلالهم بالنصوص الدينية، فإنَّما يقصدون إثبات توافقها مع فلسفاتهم، حفاظاً على انتمائهم الديني وتجنباً للمواجهة المباشرة مع العقيدة يقوم على مبدأ التكامل بين أداتي المعرفة الرئيسيتين العقل والوحي، فهم لا يعتمدون على أحدهما بشكل مطلق، بل يوزعون الأدوار بينهما بحسب مجال كل منهما.

منهج المتكلمين

يعتبر العقل أَداة أَساسية في إثبات المبادئ العقلية العامة، مثل وجود الخالق ووحدانية الله، وإثبات النبوات بشكل عام، لا يُستعان بالنصوص الشرعية " الوحي " في هذه المجالات لأنّها تدرك بالبراهين العقلية المستقلة، التي لا تحتاج إلى دليل نقلي، مثل الاستدلال على وجود الله بالحجج العقلية كدليل الحدوث أو دليل العلة، تترك بعض المسائل الغيبية التي لا يدركها العقل بمفرده للنصوص الشرعية، مثل تفاصيل اليوم الآخر، وحقيقة الجنة والنار، وبعض صفات الله تعالى.

لا يمكن البرهنة على هذه الأمور بالعقل وحده، بل تتطلب التصديق بالنقل الصحيح، مثل الإيمان بالملائكة والبعث بعد الموت، فهي من الأُمور التي يعلم بها عبر الوحي فقط.

وبناء على هذا قسَّـــم المتكلمون أُصـــول الدين إلى عقليات ما يثبت بالدليل العقلي المحض، والســـمعيات ما يؤخذ من النصوص دون معارضة العقل.

وهذا المنهج يجمع بين الاستدلال البرهاني العقلي والتسليم الشرعي، بين المجالين، بحيث لا يُستدل بالوحي في المسائل العقلية الخالصة، ولا يعتمد على العقل في الأمور النقلية المحضة.

منهج أَهل السنة والجماعة

يعتمد منهج أهل الســنة والجماعة على أنَّ الوحي كتاباً وســنةً هو المصدر الأَساسي للاستدلال في جميع أمور الدين، إذ أكمل الله الدين بهذا الوحي كما قال الله تعالى " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضـــيت لكم الإســـلام ديناً " المائدة 3، وقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم كل ما أُوحي إليه تفصـيلاً فلا يوجد في الدين عقيدة أو حكم لم يوضـحه، لذلك لا تثبت مسألة دينية إلّا بدليل من الوحي، وما لم يرد فيه نصٌّ فليس من الدين وهذا أَصـل ضروري في العلم والإيمان، تدعمه النصـــوص كقوله تعالى " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شـجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفســهم حرجاً ممّا قضـيت ويسلموا تسليماً " النساء 65، وقد أَجمع السلف على هذا، كما قال الإمام الزهري " من الله الرســالة، ومن الرســول التبليغ، وعلينا التسليم "

دليل العقل على لزوم بما أتى به الشرع

ليس اعتماد أَهل السنة على النصوص من الكتاب والسنة والتسليم بها تسليماً مطلقاً، بعداً منهم عن مقتضى دلالة العقل بل تسليمهم بالنصوص وما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم هو مقتضى دلالة العقل وذلك من وجهين:

1.أَنَّ العقل دلَّ على النبوة، وهم ما عرفوا صدق النبي صلى الله عليه وسلم ونبوته إلّا بالعقل، ومعنى التسليم بالنبوة الجزم على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وعصمته، فيلزم من ذلك ضرورة التسليم بكل ما جاء به، فإنَّ من التناقض الجزم بصدق النبي وعصمته إذا كان ما جاء لا يقبل حتى يسلم من المعاريض العقلية، فلا فرق بين النبي وغيره إذا كان لا يقبل كلامه إلّا بعد التأكيد من صحته.

لأنَّ عرض الكلام على الميزان العقلي أو غيره إنَّما يكون إذا احتمل الغلط، وفرض احتمال الغلط فيما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم مناقض للتسليم بنبوته التي تعني عدم إمكان الغلط منه، بل العقل يقتضي ضرورة التسليم بمن وثق بصدقه كما فعل الصدّيق رضي الله عنه لمّا جاءه الكفار من قريش مشككين في صدق النبي صلى الله عليه وسلم في خبر الإسراء والمعراج فما زاد على أنّه قال: " لئن كان قال ذلك فقد صـــدق " فجعل ضـابط قبول ما جاء به النبي صـلى الله عليه وسـلم هو مجرد الثبوت عنه فقط، فكان قوله بمثابة القاعدة والأَصـــل في هذا الباب.

2.إنَّ النصوص من الكتاب والسنة تضمنت دلائل عقلية لأَنَّ الوحي نزل في أَول أمره مخاطباً قوماً لا يؤمنون به فلا يمكن أن

يكون خطابه لهم قائماً على إيمانهم بالوحي وهو إنَّما جاء ليدعوهم إلى الإيمان به ولذلك جاء مخاطباً عقولهم التي لم تؤمن بمصدرية الوحي وأنَّه من عند الله.

فالوحي كما أنَّ فيه أَدلة خبرية على القضايا الغيبية التي لا تعرف إلّا به ففيه كذلك أَدلة عقلية على كونه وحياً من عند الله وعلى قضايا الاعتقاد العقلية فما من مسألة في الاعتقاد إلّا ودلَّ عليها العقل إمَّا مباشرة وإمَّا بواسطة دلالة العقل على النبوة والوحي، وبذلك كانت جميع مسائل الدين عقلية ونقلية.

" الرسالة السادسة عشرة "

لماذا فرض الله سبحانه على الإنسان أنْ يعبدوه؟

السؤال تعكس إشكالية فلسفية ودينية عميقة تتعلق بفهم العلاقة بين الخالق والمخلوق، وطبيعة العبادة في المنظور الإسلامي.

الاعتراض ينطلق من ملاحظة أَنَّ بعض الناس يفهمون العبادة على أَنَّها حاجة إلهية، ممَّا يُدخل الذات الإلهية في إطار الحاجات البشرية، هذا الفهم يتناقض مع العقيدة الإسلامية التي تؤكد أَنَّ الله غني عن العالمين، فلا تنفعه الطاعات ولا تضره المعاصي.

العبادة غايتها إصلاح الإنسان، لا منفعة الرب، العبادة في الإسلام ليست لتلبية حاجة إلهية، بل هي نظام أَخلاقي وروحي يصلح حياة الإنسان كما قال تعالى " من عمل صالحاً فلنفسه ومن أَساء فعليها " فصلت 46، الغاية من العبادة تنمية التقوى وتحرير الإنسان من أَهوائه، كما قال تعالى " إنَّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر " العنكبوت 45.

بعض الأَديان القديمة صورت الآلهة ككائنات تحتاج إلى القرابين أَو العبادة لتلبية رغباتها، وهو تصور ينزّه الإسلام الله عنه، القرآن يرفض هذا المنطق بقوله " وما خلقت الجنَّ والإنس إلّا ليعبدون، ما أريد منهم أن يطعمون " الذاريات 57- 56.

السؤال عن " مصلحة الله " من العبادة مغلوط لأنّه يفترض أنَّ الإله محكوم بمنطق النقص البشري، المسألة ليست عن حاجة الإله، بل عن حكمة التشريع.

يقول ابن تيمية " وأَعظم المطالب، العلم بالله تعالى وأَسمائه وصفاته وأَفعاله وأَمره ونهيه، وهذا كله لا تنال خصائصه لا بقياس الشمول ولا بقياس التمثيل، فإنَّ الله تعالى لا مثل له فيقاس عليه، ولا يدخل هو وغيره تحت قضية كلية تستوي أَفرادها، فلهذا كانت طريقة القرآن هي طريقة السلف والأئمة أَنّهم لا يستعملون في الالهيات قياس التمثيل وقياس شمول تستوي أفراده، بل يستعملون من هذا وهذا قياس الأولَى فإنَّ الله له المثل الأعلى "

الاعتراض يتوجه نحو صفات الله دون أصل وجوده!

النقاط الأساسية التي تردُّ على هذا الاعتراض وتوضح المنظور الشرعي والعقلي:

1.الفرق بين أَصل الوجود وصفات الله

أَصل وجود الله تعالى يدرك بالفطرة والعقل والنقل، أَمَّا صفاته فهي توقيفية تعرف بالوحي، فالإنسان قد يُخطئ في فهم بعض الصفات كالكيفية أَو التفاصيل، لكن هذا لا ينفي أصل وجود الخالق، الذي تدل عليه الأدلة العقلية والكونية.

مثال: خلق الكون يستلزم خالقاً، لكن طبيعة ذات هذا الخالق ككيفية استوائه أو حقيقة يده لا يدركها العقل بمفرده، بل يحتاج إلى وحي.

2.العبادة مرتبطة بالحكمة لا بالحاجة

الله غني عن العباد قال الله تعالى " لن ينال الله لحومهَا ولكن يناله التقوى منكم " الحج 37، لكن حكمته اقتضت أن يعبد لأنّه المستحق وحده للعبادة، العبادة ليست لسد حاجة عند الله فهو الكامل، بل هي لحكمة عظيمة منها: تحقيق عدالة الله

بإثابة المطيع وعقاب العاصي، تمييز الصادق من المنافق، تطهير الإنسان من الشرك والذنوب.

3.محدودية إدراك العقل للذات الإلهية

العقل البشري محدود، فلا يدرك حقيقة ذات الله ولا كنه صفاته " لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار " الأنعام 103، لكن هذا لا يعني أَنَّ العقل عاجز عن إثبات وجود الله، بل هو عاجز عن إدراك كيفية ما أخبر عن نفسه، الفرق الجوهري الإثبات " وجود الله وصفاته العامة كالحياة والعلم ممكن عقلاً، أمّا الكيفية كيفية النزول أو الاستواء فغير مدركة "

4.نفي العبثية ودلالة الحكمة

الكون ليس عبثاً " أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً " المؤمنون 115

لكن قد تخفى بعض الحِكَم على البشر.

" وما أوتيتم من العلم إلّا قليلاً " الإسراء 185، حتى لو لم نعرف الحكمة من أمر ما كعدد ركعات الصلاة مثلاً، فعدم ادراكنا لا يعني انتفاء الحكمة.

" لا يُسأل عمَّا يفعل وهم يُسألون "الأنبياء 23.

5.العبادة لمصلحة العبد لا لحاجة الرب

الله لا يريد من عبادة الإنسان رزقاً ولا طعمةً، هذا صحيح، لكن العبادة تحقق مصالح العباد أنفسهم " من عمل صالحاً فلنفسه " فصلت 46، الطاعة تنفع العبد في الدنيا والآخرة، والمعصية تضره وحده.

6.استغناء الله المطلق لا يضره كفر كما لا ينفعه إيمان، هذا مستفاد من قوله تعالى "إن تكفروا فإنَّ الله غني عن عنكم "

الزمر 7، لكن الإيمان ينفع العبد لأنّه سبب لدخول الجنة، والكفر يضره لأنّه سبب لدخول النار.

" الرسالة السابعة عشرة "

تشبث الكفار بطلب البراهين تعنّتاً!

تعنت أَهل الكفر وطلبهم أَدلة معينة ثمَّ اصرارهم على الكفر حتى بعد تحقيقها هو نمط متكرر في تاريخ الدعوة إلى الله كما وصفه القرآن الكريم، وهذا سلوك ليس مجرد طلب للبرهان، بل هو تحدي يعكس العناد والاستكبار، لأَنَّ الغاية عندهم ليست الوصول إلى الحقيقة، بل التمسك بالكفر والهروب من قبول الحق.

أَمثلة من القرآن الكريم على هذا التعنت:

طلب فرعون أَدلة غير التي جاء بها موسى عليه السلام، مثل الأَسورة الذهبية أَو حضور الملائكة، مع أَنَّ الآيات التي جاء بها موسى عليه السلام كالعصا واليد البيضاء كانت كافية لإثبات صدقه لو كان فرعون يريد الحق، قال تعالى " فلمَّا جاءتهم آياتنا مبصرةً قالوا هذا سحر مبين، وجحدوا بها واستقيتنها أنفسهم ظلماً وعلواً " النمل 13_ 14.

كفار قريش طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم معجزات مادية مثل تفجير ينبوع من الأرض أو إنزال كنز من السماء، مع أنَّ القرآن نفسه كان أعظم معجزة، لكنهم لم يريدوا الهدى قال تعالى " وقالوا لن نؤمن لك حتى تفْجُر لنا من الأرض ينبوعاً " الإسراء 90- 93.

كان المشركون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم وللأنبياء قبلَه " ائتِ بآبائنا إن كنت صادقاً " الجاثية 25، مع أنَّ الله أخبر أنَّهم لو أحيوا الموتى لن يؤمنوا " ولو أنَّنا نزّلنا إليهم الملائكة وكلَّمهم

الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قُبُلاً ما كانوا ليؤمنوا إلّا أن يشاء الله " الأنعام 111.

المشكلة في منهجية الكفار اليوم!

اليوم، يكرر الملاحدة والعلمانيون نفس النهج المتعنت، حيث يحددون شروطاً للإيمان كأن يكون الدليل تجريبياً فقط، مع أَنَّ العقل والمنطق والفطرة أَدلة كافية.

ينكرون الأَدلة العقلية والغيبية بحجة أَنَّها غير مادية، رغم أَنَّ كثيراً من الحقائق العلمية كالجاذبية والذرة لا تُرى لكنَّها تُثبت بأَدلة غير مباشرة.

يتجاهلون الأَدلة الفلسفية والكونية على وجود الله، مثل دليل الموجد أَو واجب الوجود، ودليل الفطرة.

الردّ على زعمهم أَنَّ الأدلة التجريبية وحدها مقبولة

1.الدليل التجريبي محدود فهو لا يثبت الحقائق الغيبية ولا الأَخلاق ولا الرياضيات المجردة، فكيف يجعل مقياساً لكل شيء.

2.وجود الله يُدرك بالعقل قبل التجربة لأَنَّ التجربة تحتاج إلى منهج وإطار تفسيري، وهذا الإطار نفسه يستند إلى مقدمات عقلية.

3.لو طبقنا منهجهم على حياتهم لأَنهار فهم يؤمنون بأَشياء غير قابلة للتجربة كالحب والعدل والحقوق، فلماذا يستثنون الإيمان بالله؟!

القرآن كشف حقيقة هؤلاء " ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلُّوا فيه يعرجون لقالوا إنَّما سكّرت أَبصارنا بل نحن قوم مسحورون " الحجر 14- 15، فالمشكلة ليست في نقص الأَدلة

بل في تعنت القلوب، كما قال تعالى " فإنَّهم لا يُكذِّبونك ولكنَّ الظالمين بآيات الله يجحدون " الأنعام 33.
فالحل هو الانفتاح العقلي والنظر بإنصاف لا التشبث بمنهج واحد يتذرعون به هروباً من الحقيقة.

ربط يقين الإيمان بالخالق بجذور المعارف والبديهيات الأُولى

العبارة تعرض رؤية عميقة تربط بين الإيمان بالخالق وأُصول المعرفة الإنسانية، خاصة من خلال مفهوم السببية كأساس عقلي وفطري.
الإيمان بالخالق وأصل العلوم: السببية كجسر بين الفطرة والعقل، الفطرة والبداهة العقلية تؤكد أنَّ الأدلة على وجود الخالق فطرية كالسببية والغائية، فهي ليست معقدة تحتاج إلى فلسفة عميقة، بل هي بديهيات يُبنى عليها كل علم كالرياضيات والفيزياء، مثال حين يُسأل الطفل من خلق السماء؟ فهو يستند إلى مبدأ السببية بشكل تلقائي، ممَّا يدل على فطريته.
كل العلوم تستند على مبدأ العليَّة أي أنَّ لكل شيء سبباً، وهذا المبدأ نفسه يدل على أنَّ الكون كحدث يحتاج إلى سبب أول "الخالق" إذا رفض الإنسان السببية في الإيمان بالخالق كقول بعض الملاحدة وجُد بلا سبب، فإنَّه ينقض كل علم قام عليه، لأنَّ العلوم كلها تفترض مسبقاً أنّ الظواهر مرتبطة بأسباب.
أولوية الإيمان في اليقينيات أن يُثبت الإنسان أي حقيقة مثل 1+1= 2، يكون قد قبل ضمنياً وجود عقلٍ مفكر أي نفسه ونظام ثابت في الكون وهو دليل على حكمة الخالق.

إذا ادَّعى الملحد أَنَّ السببية لا تنطبق على الكون، فنردُّ: هذا انتقائي، لأنَّه يقبل السببية في علومه كطب الأسباب المرضية ويرفضها في أَصل الكون، الكون حادث يخضع للزمان والمكان وكل حادث يحتاج إلى محدث كما في قياس البرهان الإمكان.

خاتمة: الإيمان بالخالق ليس طلباً زائداً عن العقل، بل هو أَول ما يقتضيه العقل السليم قبل أَي معرفة أُخرى، والسببية التي يستخدمها الإنسان في كل لحظة من السيارة لا تتحرك بلا بنزين إلى الكون لا يوجد بلا خالق هي خيط ناظم بين الفطرة والعلم.

" الرسالة الثامنة عشرة "

الاختلاط بين الأَساس التشريعي وآلية تنزيله على أَرض الواقع!

من يدرس نصوص الكتاب والسنة لا بدَّ أن يميز بين أمرين أساسيين:

1.الحكم الشرعي المجرد من حيث ثبوته وأدلته وشروط انطباقه.

2.تطبيق هذا الحكم على الأَفراد والوقائع مع مراعاة الظروف الخاصة.

هذا الجانبان منفصلان من حيث المناطات والشروط؛ عليه أولاً: أن يحرر الحكم الشرعي ويبين أَدلته وشروطه، أَمَّا تنزيله على الواقع فله اعتبارات أخرى، مثل الظروف الزمانية والمكانية والحالية، التي قد تؤدي إلى عدم تطبيقه في حالات معينة دون إنكار ثبوته.

حدُّ السرقة ثبت قطعاً في الشريعة، لكنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أوقف تطبيقه في عام المجاعة لظروف استثنائية، عدم التنفيذ هنا لا يعني إنكار الحكم، بل مراعاة للواقع، حدّ الزنا لم يقم عثمان بن عفان رضي الله عنه الحدّ على امرأة جاهلة، لا إنكاراً للحدّ، بل لاعتبارات خاصة بالمعينة فغياب العقوبة عن شخص معين لا يدل على انتفاء الحكم الشرعي نفسه.

خطأ الاستدلال بعدم التطبيق بعض المناصرين لفكرة التسامح العقابي يستدلون بعدم عقاب النبي صلى الله عليه وسلم للمنافقين على نفي مشروعية العقوبة في حقهم، وهذا استدلال سقيم، لأنَّ النصوص الصريحة تدل على مشروعية عقابهم

دنيوياً: مثل قوله تعالى " يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم " التوبة 73
وقوله تعالى " لئن لم ينتهِ المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينَّك بهم ثمَّ لا يجاورونك إلّا قليلاً ملعونين أينما ثُقفوا أُخذوا وقتّلوا تقتيلاً " الأحزاب 60
الذي يفيد جواز قتلهم وإخراجهم، وهدم النبي صلى الله عليه وسلم لمسجد المنافقين، وهو تعزير بالمال، وهو عقوبة دنيوية.

خلط آخر القدح في الحكم الشرعي بسبب سوء التطبيق!

بعض الباحثين ينتقد الأحكام الشرعية نفسها بسبب التطبيقات الخاطئة لها في التاريخ، كاستغلال الحكّام لها، وهذا منهج غير سليم، لأنَّ الخطأ في التطبيق لا يعني بطلان الحكم، وإلّا لسقطت كثير من الأحكام بسبب أخطاء الناس في تنفيذها.

الخلاصة

الحكم الشرعي ثابت بأدلته، وتطبيقه مرهون بتحقق شروطه وانتفاء الموانع، عدم التطبيق في حالات معينة لا ينفي ثبوت الحكم، النقد يجب أن يتوجه للتطبيق الخاطئ، لا للأصل الشرعي.

" الرسالة التاسعة عشرة "

العلمانية في ظل التراث العلماني!

قال تعالى " يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنّه لكم عدو مبين " 208

الإسلام شمولية عابرة لكل زمان ومكان قادر على خوض جميع المواجهات السياسية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، حيث عاش في كنفه الرعيل الأول أو الجيل الفريد من البشرية رضي الله عنهم وأرضاهم وسلك بنا سبيلهم.

قوة الإسلام في قوة ضبطه العلمي والمنهجي فلها حصانة تتكسَّر دونها أَهواء الزائغين وأَهل الشبه، كان فارس الأَول في قوة الضبط العلمي والمنهجي علم أُصول الفقه وقواعده، وفي المقابل وُجِد تيار علماني موازٍ له، إذ يصفون علم أُصول الفقه بالجمود! وعدم قدرته على الوفاء بما يقتضيه تطور الزمان، ليست غايتهم فتح باب للاجتهاد فيه بالمعنى الاجتهادي المعهود أن يستخرجوا الأحكام من الكتاب والسنة وإظهاراً لحكم الله، بل يريدون اجتهاداً يتخطى النصوص ويتجاوز أحكام الشريعة بمعنى آخر يريدون إسلاماً بقالب علماني.

طعنهم في مسلكين:

الطعن الذي يوجهه العلمانيون إلى الشريعة الإسلامية يقوم على مسلكين:

1.مسلك التعطيل " إقصاء الشريعة وتهميشها "

التعطيل هنا يعني إزاحة أحكام الشريعة الإسلامية وإقصائها من الحياة العامة، سواء في التشريع أو السياسة أو الأخلاق،

واستبدالها بقوانين ومقاصد توافق الفكر العلماني، حتى لو لم تُصَرَّح باسم العلمانية.

الوسائل المستخدمة:

الدعوة إلى فصل الدين عن الدولة تحت شعارات مثل الحداثة أو التقدم.

إحلال القوانين الوضعية محل الشريعة بدعوى مواكبة العصر أو حماية الحريات.

تشويه صورة الشريعة بوصفها متخلفة أو غير قابلة للتطبيق.

التركيز على المقاصد بشكل انتقائي لتبرير إلغاء الأحكام الشرعية.

2.مسلك التأويل تحريف المعاني الشرعية

التأويل هنا يعني تحريف النصوص الشرعية من القرآن والسنة وتفسيرها بطريقة توافق الأفكار الغربية الليبرالية، الحداثية، النسوية، ...إلخ، مع إلباسها ثوباً إسلامياً زائفاً.

الوسائل المستخدمة

1.تقديم تفسيرات جديدة للنصوص تُفْرغها من مدلولاتها الشرعية الأصلية.

2.استغلال القواعد الأصولية مثل المصلحة المرسلة وسدّ الذرائع لتبرير مخالفة النصوص.

3.توظيف بعض النصوص الجزئية لإسقاط الكليات الشرعي.

4.إدّعاء أنَّ فهم السلف قاصر وأنَّ التنوير يتطلب تجاوزه.

5.إدخال مفاهيم غربيَّة مثل الحرية المطلقة، المساواة المطلقة النسبية الأخلاقية تحت مسمَّى الاجتهاد المعاصر.

الخطر المشترك بين المسلكين:

1.تفريغ الإسلام من محتواه التشريعي والحضاري.

2.تذويب الهوية الإسلامية في الفكر الغربي.

3.اضعاف الحصانة الفكرية لدى المسلمين بزعم التجديد أو التطوير.

كيفية المواجهة:

1.بيان حقيقة العلمانية وكيف أنَّها ليست حيادية، بل هي رؤية فلسفية تناقض الإسلام في الأصول والفروع.

2.كشف أساليب التحريف في التأويل وبيان ضوابط الاجتهاد الصحيح.

3.إبراز شمولية الشريعة وصلاحيتها لكل زمان ومكان.

4.التأصيل الشرعي لمفاهيم مثل الحرية والمساواة وفق المنظور الإسلامي، وليس الغربي.

5.تعزيز الوعي النقدي لدى الشباب تجاه الشبهات العلمانية، فالعلمانية ليس مجرد فصل الدين عن الدولة، بل هي نظام فكري متكامل يُعارض الإسلام في العقيدة، والمنهج، والتشريع، والأخلاق، ولا بدَّ من كشف حقيقتها وفضح أساليبها الخادعة.

" الرسالة العشرون "

متى شرَّع الله إقامة الحدود في الإسلام، وما الغاية والحكمة من ذلك؟

بدأ تشريع الحدود في الإسلام بشكل تدريجي، حيث نزلت الأَحكام المتعلقة بها في القرآن الكريم خلال مراحل الدعوة الإسلامية في المدينة المنورة، ففي عهد النبي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة بدأَ تطبيق الحدود لأَنَّ المسلمين أَصبح لهم كيان سياسي يحكم بالشريعة، ولمَّا كانت الحدود تنفّذ على جرائم ومحرمات، كان من المناسب تأخير فرضها حتى يعي الناس حرمة هذه الأفعال ويتجنبوها، فلا يصح معاقبة شخص على ذنب لم يعرف أَنَّه محرَّم، لأَنَّ ذلك قد يؤدي إلى النفور من الدين بدلاً من قبوله.

وقد كانت البيئة العربية قبل الإسلام بعيدة عن الشرائع السماوية، فجاء الإسلام بالتدرج في التشريع؛ أَولاً بالتعريف بالحلال والحرام، ثم بالعقوبة بعد استقرار الإيمان في القلوب ولمَّا اكتمل نزول الشريعة واستقرت أَحكامها، أَصبح واجباً على الأُمة تطبيق الحدود كما أمر الله.

وقد امتنع النبي صلى الله عليه وسلم عن إقامة بعض الحدود في بداية الدعوة لأَنَّ الله لم يأمره بذلك، وإلّا لمَا توانى عن تنفيذها، وهذا من حكمة الله ولطفه بعباده، حيث راعى ظروف الدعوة في التدرج في التشريع.

فإذا كان المسلم في وضع مشابه لوضع النبي صلى الله عليه وسلم في مكة، حيث كان غريباً في دينه ولا يؤيده أحد، فليكن شغله الأَول دعوة الناس إلى معرفة الحق قبل المطالبة بتطبيق

العقوبات، لأنَّ المعاقبة على ذنب مجهول الحرمة قد تدفع الناس إلى رفض الدين بدلاً من قبوله.

ما حكم من كان في وضعٍ مشابهٍ لوضع النبي صلى الله عليه وسلم في مكة؟

الحاكم الذي يسيطر على بلد غير مسلم، أو بلد ضعفت فيه معالم الإسلام، يجب أنْ يعلّم الناس دينهم تدريجياً، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع المشركين في مكة، حيث بدأ بالأَساسيات قبل التفاصيل، حتى لا ينفروا من الدين.

فالحاكم هنا خليفة الله في الأَرض، ومهمته تطبيق الدين كما شرعه الله، لا وفق الأهواء أو العجلة.

أَمَّا في حال ضعف المسلمين وعدم قدرتهم على تطبيق الشريعة كاملة، كما كان الوضع في مكة قبل الهجرة فيعملون بما يستطيعون، دون تكليف أنفسهم بما لا يطيقون، مع الاستمرار في الدعوة وعدم الرضا بالباطل.

الضوابط الشرعية لهذا الموقف

1. **الفرق بين مرحلة العجز ومرحلة التمكين** في مكَّة كان النبي صلى الله عليه وسلم في مرحلة الدعوة دون سلطة سياسية، فلم يُطبّق الحدود أو الجهاد، أَمَّا في المدينة بعد التمكين، طُبقت الشريعة كاملة.

فالحكم يختلف بحســـب القدرة **لقوله تعالى " فاتقوا الله ما استطعتم " التغابن 16.**

2.حكم تطبيق الشريعة في حال العجز إذا كان المسلمون ضعفاء ولا يملكون سلطة، فلا يُكلَّفون بما لا يستطيعون، بل يعملون بما يمكن تطبيقه دون مخاطرة، مع مواصلة الدعوة.

3.الفرق بين الحكم الشرعي والتطبيق العملي

- **الأحكام الشرعية ثابتة كإقامة الحدود والجهاد، لكنَّ التنفيذ مرتبط بالاستطاعة.**
- **لا يجوز التخلي عن الدعوة لتطبيق الشريعة بحجة الضعف، لكن لا يُكلَّف الناس بما يعجزون عنه.**

4.ضوابط التعامل مع الواقع

- **التدرج والرفق في الدعوة، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل.**
- **عدم الرضا بالكفر أو تحكيم غير الشريعة، حتى في حال العجز**
- **السعي للتمكين بالوسائل المشروعة، وعدم اليأس من نصر الله.**

فمن كان في وضع مشابهٍ لمكة ضعف وعدم تمكين لا يُطالب بتطبيق الشريعة قسراً، بل بما يستطيع مع السعي للتمكين، أَمَّا من كان في وضع مثل المدينة " قوة وتمكين " فيجب عليه إقامة الشرع كاملاً.

واقع المسلمين اليوم، ووجوب تحكيم الشريعة في جميع شؤون الحياة!

الحال الأُولى:

عندما تكون الدولة مستقرة ونظامها ثابتاً، يجب تحكيم الشريعة الإسلامية على الجميع دون استثناء، ويحرم على الحاكم مخالفة شرع الله إذا كان المحكومون مسلمين، أمَّا إن كانوا غير مسلمين، فيُنظَر في تطبيق الأحكام تدريجياً حسب الضوابط الشرعية.

الحالة الثانية:

في ظل حالات الحرب وعدم الاستقرار، يتطلب تطبيق الشريعة الإسلامية مراعاة جملة من المبادئ والأحكام التي تنظم التعامل مع هذه الظروف الطارئة، مع الحفاظ على المقاصد الأساسية للشريعة: الدين، والنفس، والعرض، والمال، والعقل، ولا بدَّ أن يكون للمسلمين مجتمع آمن مستقر يلتزم بنظامها وتثبت فيه أحكامها.

فإذا تعارضت مصلحة إقامة الحدود مع ظروف الاضطراب، جاز التخفيف أو التأجيل مراعاة للضرورة، دون إنكار للحكم الشرعي أو استبداله بنظام آخر، لأنَّ أحكام الله ثابتة في القرآن والسنة ثبوتاً قطعياً، والاستحلال المطلق لتركها يُعتبر خروجاً عن الدين بإجماع العلماء، أمَّا وضع عقوبات بديلة على الإعراض عن الشريعة واستبدالها بقوانين وضعية، وهو أمر مرفوض.

وعندما تستقر الأوضاع وتقوى الدولة، يجب التشدد في تطبيق أحكام الإسلام بشكل كامل، إذن، فالتطبيق يكون وفقاً للواقع، مع الموازنة بين المصالح والمفاسد، والتدرج عند الحاجة، خاصة في الأوضاع غير المستقرة.

" الرسالة الحادية والعشرون "

منهج الحداثيين في تفريغ النصوص من مدلولاتها!

يتبع المنتمون إلى الفكر الحداثي مسارات متنوعة في تعاملهم مع النصوص الشرعية، بهدف إخضاعها لرؤاهم المعاصرة، حتى لو أَدَّى ذلك إلى مخالفة الأُصول الشرعية واللغوية، ومن أَبرز المناهج التي يعتمدون عليها:

1. التأويل المتجاوز للحدود حيث يلجئون إلى تفسير النصوص بتأويلات مبالغ فيها تتوافق مع الأَفكار الحداثية، مستخدمين مصطلحات فلسفية أو علمانية، حتى لو نتج عن ذلك خروج عن الإِطار الشرعي والسياق اللغوي للنص.
2. التركيز الانتقائي على المقاصد إذ يتمسكون بالمقاصد العامة للشريعة كالعدل والمساواة، ويتغافلون عن الأحكام التفصيلية والنصوص الجزئية التي لا تتوافق في ظاهرها مع تلك المقاصد.
3. نسبية الفهم الديني حيث ينفون وجود تفسير واحد صحيح للنصـــوص، ويدَّعون أنّها قابلة لتأويلات متعددة حســـب الزمان والمكان، ممَّا يؤدي إلى التضـــليل والابتعاد عن الحق الثابت.
4. اخضاع النصوص للعلوم الحديثة فيحاولون تفسير الآيات القرآنية وفقاً للنظريات العلمية المعاصرة، ممَّا يفضي إلى فهم مناقض لتفسيرات السلف الصالح.
5. تقويض حجية النصوص الشرعية يشكّك بعضهم في دلالة النصـــوص التي أَجمع الفقهـاء على قطعيتهـا، ويـدعون إلى مراجعتها وفقاً للمناهج الحديثة.

6.إعادة صياغة المفاهيم الإسلامية حيث يسعون إلى تغيير التعريفات الشرعية الثابتة، مثل الجهاد والحجاب والحدود وغيرها، لتصبح متوافقة مع المفاهيم الغربية لحقوق الإنسان والحرة الفردية.

هذه المنهجيات تؤدي إلى تحرير المعاني الشرعية الأَصيلة، وتفتح الباب أَمام التأويلات البعيدة عن روح الشريعة ومقاصدها الحقيقية.

يعتبر محمد أركون من أبرز المنظرين الذين حاولوا تطبيق المناهج الحديثة في تحليل النصوص الدينية متأثراً بالعلوم الإنسانية والاجتماعية مثل التاريخ المقارن وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا وفلسفة اللغة.

أبرز خصائص القراءة الحداثية للقرآن الكريم لدى محمد أركون!

1.نقد العقل الإسلامي الذي يرى أنَّ العقل الإسلامي قد توقف عن التطور بعد فترة معينة، وأصبح يعتمد على تفسيرات جامدة للنصوص الدينية، يدعو إلى إعادة قراءة النصوص باستخدام أدوات ومناهج حديثة لفهمها في سياقها التاريخي والثقافي.

2.تفكيكه للمفاهيم المرتبطة بالقرآن مثل " الوحي والنبوة " ويدعو إلى إعادة تعريفها في ضوء المعرفة الحديثة، يرى أنَّ هذه المفاهيم يجب أن تفهم بشكل أكثر مرونة وديناميكية.

معتبراً أنَّ النص القرآني يتوجه إلى البشر في سياقاتهم التاريخية والاجتماعية، لذلك يدعوا إلى قراءة القرآن كرسالة إنسانية وليس كنصوص شرعية ملزمة.

3.يدعو إلى الحوار بين الأديان والثقافات معتبراً أنَّ فهم القرآن يجب أن يتمَّ في إطار تفاعل الحضارات وتبادل المعرفة بينها، يرى أنَّ القراءة الحداثية للقرآن يمكن أَن تساهم في تقريب وجهات النظر بين المسلمين والكفار أو كما يقول هو غير المسلمين.

4.يدعو إلى نقد السلطة الدينية، ينتقد أركون السلطة كما يسميها " التقليدية " التي تفرض تفسيرات معينة للقرآن وتقمع القراءات الأخرى، يدعو إلى حرية الفكر والتفسير معتبراً انَّ النص القرآني يجب أن يكون مفتوحاً لقراءات متعددة.

رؤية محمد أركون للنصوص غير مقبول، بل يدخل في بعض نظرياته في الزندقة في ردّه بعض القواطع والثوابت لتفكيكه الثوابت الإسلامية خاصة في قضايا مثل الوحي والنبوة والتفسير التاريخي للنصوص.

" الرسالة الثانية والعشرون "

يتحيّز أهل الأهواء والحداثة بحجج ظاهرها العقلانية وباطنها التحيّز!

النص الـذي قـدمتُـه يعبر عن أولئـك الـذين يســتخـدمون الأســاليب البلاغية والعلمية المظهرية لتبرير أفكار منحرفة أو باطلة تحت ســتار النزاهة الفكرية والمنهجية العلمية، وهي ظاهرة خطيرة تتمثل في توظيف الأدوات المعرفية مثل اللغة والـقـواعـد الأصــولـيـة والـمـنـطـق لـتـزيـيـف الـحـقـائـق أو تمريرها.

يمكن أن نحلل النص إلى نقاط رئيسية:

1. نقد الازدواجية الفكرية يهاجم النص أولئك الذين يقدمون أفكارهم بصورة علمية مزيّفة باستخدام أدلة وبراهين، خاصة عندما يأتي من أشخاص يظهرون التزاماً ظاهرياً بالشرع أو بالوحي.
2. توظيف اللغة كأَداة للتضــليل البعض يســتغل قواعد اللغة والفهم التأويلي لتمرير معانٍ فاســدة، ممَّا يحوّل الأصــول اللغوية إلى مجرد دروع يختبئون وراءها.
3. حصــان طروادة الفكري تختفي الأفكار الهدَّامة تحت غطاء من البلاغة أو القراءات التنويرية المزعومة.
4. الجدل كآلة للتضـليل يجعلون الجدل الفكري وسـيلة لخلق البلبلة حول الثوابت، ممّا يسهل استدراج الناس نحو أفكارهم المنحرفة.
5. الزخرف اللفظي هذه الظاهرة وبين زخرف القول الذي ذكره

القرآن الكريم كأسلوب للشياطين من الإنس والجنِّ لإضلال الناس.

هذا النقد يتفق مع تحذيرات كثير من العلماء عبر التاريخ من خطر " المتكلمين " الذين يستخدمون المنطق واللغة لتأويل النصوص الشرعية تأويلات باطلة، أو الذين يروّجون للشبهات تحت مسميات برّاقة مثل " التنوير أو الاجتهاد "، والحل الذي يقترحه العقلاء في مواجهة هذه الظاهرة هو:

- التمسك بالمنهج الأصيل في فهم النصوص.
- كشف الأساليب الخادعة لهؤلاء.
- التحذير من مغبة الانخداع بزخارف القول.
- التربية على المنهج الوسطي في التعامل مع النصوص.

ويبقى التمييز بين الجدل لمجرد الغلبة والمناقشة العلمية لطلب الحق أمراً أساسياً في التعامل مع مثل هذه الظواهر الفكرية المعاصرة.

" والعبرة للمعاني لا للألفاظ، فكم من باطل قد أُقيم عليه دليل مزخرف عورض به دليل الحق " ينظر شرح العقيدة الطحاوية 1/ 322 ابن أبي العز رحمه الله.

" الرسالة الثالثة والعشرون "

التبعية الفكرية للغرب!

" لقد تسـللت القيم الغربية ونمط التفكير الغربي إلى سـاحة الإسلام مثل حصان طروادة " شيفان فأيدنك

" يمكن للغرب أن يغزو العالم ببسـاطة دون اللجوء للجيوش ما عليه سـوى تحطيم البنية الثقافية وتغريب أعضـاء النخب الحاكمة واستيعابهم " عبد الوهاب المسيري

كيف يتم تسليط الضوء على الدور الرئيسي للنخبة الحداثية في ترسـيخ المفاهيم الغربية، بينما يتمكن المثقف الإسـلامي الذكي من فضح ممارساتها وكشف خدعها الفكرية؟

من الخطابات المعلنة على ألسنة قادة عسكريين وسياسيين ومثقفين بارزين، تنادوا بضرورة إصلاح منظومة القيم الإسلامية وجعلها متوافقة مع الرؤيا الأمريكية والغربية عموماً، يقول " الفرنسي أوليفييه روا " إنَّ السياسة الجديدة التي يفرضها مساعد وزير الدفاع " بول ولوفر فيتزر " هي تنمية إسلام معتدل وليبرالي يتماشى في آن واحد مع القيم الغربية"

ما تفسير أَنْ ترصد أمريكا 671 مليون دولار سنوياً لقناة الحرّة وتستضيف مثقفين يجهرون وبلغة صارمة بالعداء للقيم الدينية ويطالبون بضرورة إصلاح المنظومة الدينية وفي ذات الوقت تظهر مثقفة عربية ترى ضرورة سنّ تشريعات لإعطاء حقوقاً للشواذّ والسماح لهم خارج إطار الزوجية!

ما تفسير أن يُخصص رئيس الولايات المتحدة 145 مليون دولار عام 2004 لتحويل المدارس في العالم الإسلامي إلى تعليم علماني؟

إنَّ الضعف والجهل والانهزامية الذي أنهك جسد الأمة المسلمة سببها تردي مستوى الانصياع والامتثال بالقيم الإسلامية وتناقص معدلات العناية بها إزاء القيم التي وفدت من كل زاوية من زوايا هذا العالم " الهويات الثقافات وعلى رأسها الثقافة الغربية وقلة الوعي الثقافي لدى المسلم " هو من جعل المثقف الغربي أن ينبري لحل المشكلات التي تتجسد باستمرار على أرض الواقع الإسلامي بأدواته الغربي غير المرئية ولا المحايدة والسبب الآخر تآكل المنظومة القيمية في الدين الإسلامي من خلال مصادر تلك القيم كالدين والتراث عبر قنوات فاعلة ومؤثرة كالتعليم والإعلام والأدب.

الغرب بمنظومته كلها يسعى باستماته لفرض النمط الغربي على كافة الأصعدة في الحياة، عبر وسائل الإعلام الجديد، والتعليم، والمواثيق الدولية، والأنشطة الثقافية وعبر الفتاوى الشاذّة.

كيف بدأت مرحلة الصراع في فرض الغرب ثقافته في الحياة التي هيمنت عليها خاصة في الأمة الإسلامية؟

الاقتداء بالغرب جاء من الأَعلى بدأه الحكَّام وفرضوه وألزموه في ردّة فعلٍ إزاء التهديد الخارجي التي تمثله النزعة التوسعية الغربية، حتى نفّدته المستفيدين من هذا الإصلاح إن صح التعبير حتى تدرجت على قبول الحياة العلمانية التي تقيد الدين في إطار الحياة الشخصية، حتى آلت فيما بعد على النواحي الاقتصادية والثقافية والدينية، وتجذَّرت التوغل الغربي في الأمة الإسلامية في هذه الحقبة من الزمان!

إذن وجود السلطة السياسية مع وجود النخبة الثقافية التي نالت تعليماً في الجامعات الأوروبية هي من أيّد هذا النوع من الحياة والحداثة، محاولة استخدام الشعارات الشرعية كواجهة

فقط، مع أنّها في الأصل تبعية وتغريب وهيمنة للنموذج الأوروبي، طبعاً مع وجود القابلية للتأطير في البلاد الإسلامية من خلال السلطة العليا الذي كان يقابلها رغبة عالية ووعي من الطرف الغربي بضرورة وضع العقل الإسلامي تحت هيمنة النير الغربي.

ومن وسائل التغريب ارتفاع تصاعد الاحتجاجات القومية وهذه الاحتجاجات كانت بتجييش عربي حتى استحوذ التغريب على قطاع الترجمة والطباعة والصحف والإعلام ما قبل فترة عالم سو شيال ميديا، وممَّا يمكن ملاحظته أنَّ الصراع بين الرؤية الإسلامية والتغريب يتسع زماناً ومكاناً ويختلف أثره في كل بلد إسلامي بقدر حصون الممانعة الموجودة في ذلك البلد أمَّا اليوم لم يبق بلاد إلّا وتأثرت بالغزوات الثقافية.

وممَّا لا يخفى للبيب الفطن أنَّ الأقليات غير المسلمة التي كانت تقطن في البلاد العربية سابقاً جهرت مبكراً بالرؤية العلمانية الجادة.

إذن، نقول أنَّ التغريب هو تيار فكري ذو أَبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنيّة يرمي إلى صبغ حياة المسلمين بالأسلوب الغربي، وذلك لإلغاء الشخصية الإسلامية وجعلها أُسارى للحضارة الغربية.

حتى وجدنا في المجتمع من ينبهر ويأخذه العُجْب بالثقافة الغربية وجعلها أُسّاً لحياته، وقام بمحاكاة لهذا الثقافة على وفق أساليب الحياة الغربية، حتى أصبح الفرد المسلم المتمسك بدينه يُنظر إليه نظرة سفول وازدراء وبالعكس يُنظر إلى الثقافة الغربية وما تشتمل عليه من قيم ونُظم ونظريات وأساليب حياة نظرة اعجاب واكبار.

إذن التغريب هو اقتلاع للهوية، واغتصاب ثقافي وتطهير للقيم وغزو فكري، هو عملية تجذير للقيم الغربية بعد استبدال القيم الإسلامية حتى أصبحت الحياة مصبوغة بالصبغة الغربية لأنَّ هناك من يسعى وبعمل دؤوب إلى هدم كل المظاهر الإسلامية.
لكن ينبغي أن نشير إلى نقطة ذات أهمية هو هل كل ما جاء من الغرب مذموم؟ هناك من يبيح الإفادة من الغرب في كافة المجالات بما لا يتعارض مع الدين الإسلامي ولا يتعرض للهوية الإسلامية بنوع من الاستلاب! نقول الانفتاح الثقافي دون مراعاة واعية للضوابط المنهجية وللشروط الموضوعية سيؤدي إلى نهايات سيئة وتشوهات في منظومات القيم والثقافة والأفكار في زمن الضعف الذي تمرُّ به الأمة.
هناك من يسوّق لفكرة " كونية القيم " وينظر إلى القيم بنظرة إنسانية دون النظر إلى دينٍ ودين، ولسان حالهم يقول إنَّ الغرب قد تتلمذ في حقبة ماضية على أيدينا ولم يجد الحرج في ذلك، وها نحن اليوم نجلس مكانه على كرسي التلميذ وهو المعلم! وهكذا دورة الحضارة، هذه النظرة القاصرة والفحص الخاطئ جعله يهتف به وينادي بتشربه الغرب لم يأخذ من المسلمين العلوم الشرعية والفقهية، بل أقصى ما أخذه من حضارتنا كان في مجال العلوم الطبيعية المحضة.
لقد استطاع التغريب احتواء المناهج التعليمية الوافدة القائمة على النظرية المادية المنكرة للدين والأخلاق وبناء على القيم والمُثُل، هذا الاحتواء للمدرسة الإسلامية بفرض مناهج الغرب كان له أبعد الأثر في تدمير الشخصية الإسلامية الناشئة وحرمانها من التعرف على حقيقتها ودورها وهدفها.

فإنَّ خطة السيطرة على المناهج التعليمية التي قام بها النفوذ الأجنبي وورّثها لمن جاء من حكومات وقيادات نشأت في إطار الإيمان بالغرب والاعجاب به والتسليم له، حتى شملت مختلف الميادين من السلوك الفردي للآداب الاجتماعية إلى الآداب والفنون، وكان للمنظمات الدولية الدور الرائد والمهم في ذلك، منها الأمم المتحدة واليونسكو والتربية الأساسية التي تعتبر امتداداً لمخططات ترمي إلى فصل الدين عن الدولة وتخريج شباب متميّع منهزم خاضع للأهواء والشهوات، ولم تستطع الدول المحتلة بعد الاستقلال حيث لا استقلال أن تحرر إرادتها أو تحقق وجهتها في التماس أسلوب التربية الإسلامية، ذلك لأنَّ النفوذ الغربي قد أسلم قيادة الثقافة والتعليم إلى مجموعة من أهل الولاء للغرب حتى صاروا مستغربين أكثر من الغربيين أنفسهم وهم يقدمون سمومهم تحت اسم التجديد والعصرية والتقدمية.

في مجال العلوم الاجتماعية يجري المنهج الذي تدرسه جامعاتنا ومدارسنا على مفهوم غربي خاطئ بالنسبة لعقيدتنا وإن كان مقبولاً في الغرب، وهو أنَّ المجتمع ظاهره متطور يصنع مبادئه بنفسه ولا يأخذها من الله تبارك وتعالى، وعلى هذا الأساس تكون الأخلاق من صنع المجتمع غير مفروضة عليه، ولا يكون لها مفهوم روحي، ويصبح الدين مجرد ظاهرة من ظواهر المجتمع تملأ فراغاً في نفس الفرد وهو قابل للتطور مع التطور الاجتماعي ومع متطلبات العقل البشري.

في المفهوم الإسلامي لعلم الاجتماع لا يمكن فصل التطور الاجتماعي عن المسؤولية الأخلاقية، والفرد المسلم في الإسلام لا يخضع لأوضاع المجتمع إذا انحرفت، ولكن عليه أن يغير هذا الواقع بالتماس مفهوم الإسلام الصحيح.

منهج العقيدة

وليس ارتباط مناهج التعليم لعقيدة الأمة ونظرتها العامة بالأمر المستغرب أو أنَّه مطلب جديد بل هو ما تفعله كل الأمم.

اليابان البوذية والهند البرهمية وروسيا النصرانية وإسرائيل الصهيونية كل هؤلاء قد جعلت التعليم والثقافة يصطبغان بصبغتها الحضارية وفلسفتها العقائدية، فلماذا بَعُدَ المسلمون وحدهم عن عقيدتهم؟! ولماذا هم الخاضعون للمناهج الغربية الوافدة وهم يملكون أعظم المناهج وأرقها وأصلحها لسعادة البشرية؟

يسقط الغرب

لا يمكن أي مصلح يتصدى لتصحيح واقع المسلمين المؤسف أن يتجاهل علاقة أُمتنا بالغرب وحضارته المهيمنة على العصر، إنَّه ممَّا يسرّ للحضارة الغربية أو الثقافة الغربية أن تتغلغل في المجتمعات الإسلامية.

1. تناسي الغرب للخداع المتوارث في الإرث النصراني لثقافتهم.

2. تصديق غالبية المسلمين ما زعمه الغرب من أنَّ حضارته كاملة وأبدية.

وممَّا يؤسف على ذلك قام بعض المتغربين ممَّن يسمَّون مسلمون في العصر الحديث التوفيق بين الإسلام ومدنية الغرب لأنَّه قد غلبت على تلك الجهود عقلية أوروبية محضة لأنَّ هؤلاء تبنّوا قيماً كُلها أو جُلّها من قيم المستعمرين الغربيين، ذلك بأنَّ دعواتهم كانت موضع تأييد الاستعمار لأنَّها فتحت الطريق إلى الاقتباس من مدنية الغرب دون حرج بل قد ظهر من هؤلاء ودعا إلى إلغاء الجهاد وقبول سيطرة من قبل الدول الاستعمارية على بلاده.

التغريب يتجدد

الكثير من المتغربين يناضلون من أجل بقاء روح التغريب حيَّة في أوصال الجسد الإسلامي، من يرصد مسيرة التغريب يجد أنَّها باتت الآن تتماشى صِداماً عنيفاً مع تصاعد وتيرة الصحوة الإسلامية ممَّا اضطرها إلى التذرع بحيل شتَّى من أهمها كما ذكر جورج طرابيشي في كتابه من النهضة إلى الردّة إنَّ بعضهم قد يضطر إلى التخلي عن كلمة العلمانية لأنَّها تثير نفور المسلمين كما يقول محمد أركون بل طلب بعضهم إبعادها من قاموس الفكر المعاصر، هذه مراوغة الغاية منها ردّة الفعل الشعبية جرّاء زيادة الوعي بخطورة هذا التيار الدخيل.

المثقف البراغماتي

هو ذلك المثقف الذي اعتاد على عدم الالتزام بمنهج واضح يصوغ به أقواله وأجوبته تارةً يحشر نفسه مع الإسلاميين يناضل عن مشروعهم ويقر بجودة خطابهم ويقاوم دعاة تذويب الهوية، وتارةً تلمحه من دعاة التغريب يقترب من رؤيتهم ويرمي بسهامهم ويمضغ عباراتهم، يدور مع المصلحة الثقافية حيث دارت ويستبدل ثوبه الثقافي كما يستبدل الإنسان أرديته وملابسه.

المثقف المتبني لقيم الغرب

يناضل بسالة عن قيم الغرب ولا يتورع عن المغالاة في التسويق لمذاهبهم الفكرية والثقافية، فالرؤية الغربية هي مرجعه في التطورات والمفاهيم وحتى السلوك، عندما يتحدث عن القيم يعني القيم الغربية وعندما يقرأ أو يتفحص التاريخ الغربي فهو عبارة عن منجم ثري لعمالقة وعباقرة الفلسفة والفكر والاجتماع.

الحلول عنده جاهزة تكمن لديه في ترياق العلمانية وقوة الليبرالية وثراء التعددية الفكرية ووهج الحرية وسموّ الفردية، الحضارة الغربية لديه هي حضارة استثنائية وباهرة ومدهشة يقول: أحدهم " ليس أمام المجتمعات سوى خيار واحد هو اتقان الأخذ بالأفكار والنظم والعلوم والآليات الغربية " وبعد أن يسوق حشداً من أوصاف التعظيم والتفخيم عند تلك الثقافة المدهشة والباهرة في نظره يهمس على استحياء قبل آخر السطر، ولكن نحن لنا خصوصيتنا الثقافية لا تهتم بتلك العبارة الميتة، فقد جعلها كلوحة قابلة للسقوط يُراد منها إحسان الظنِّ به.

جذور المثقف الغربي

" كان الفرنسيون في بعض أوقاتهم يتحدثون عن انتشار ثقافتهم في الأرض فيقول قائلهم: إنَّ لكل مثقف وطنين، أمَّا أحدهما فوطنه الذي وُلد فيه ونشأ، وأمَّا الآخر ففرنسا التي تلقَّى الثقافة عنها " طه حسين.

وهذا الولع بالنبع الغربي ليس على مستوى واحد، فهو يبدأ في صورة هوس وانبهار بالثقافة الغربية ونتاجها المتعدد من فنون وأشعار ومقالات إلى مستوى آخر وهو ترجمة لذلك التراث إلى الفضاء العربي بكل أمانة وضبط دون تعقب أو استدراك أو حتى مساءلة لهذا الكم من المترجم.

مشاريـع التغريب

على مدى الأعوام الماضية يتجدد مسار التغريب وتنشط أذرعه وبُثت له روح جديدة تقاوم الممانعة الشعبية الإسلامية، فخلصت إلى أنَّ عمل التغريب لم ينجح ولم يستثمر نجاحه إلّا بتوافر، غطاء سياسي أو على الأقل الممانعة السياسية، وجود نخبة ثقافية تسوّق للمشروع، وجود دعم

شعبي أو على الأقل وجود ممانعة عالية المستوى وهناك دعم آخر لكنَّه ليس كسابقيه كان مجرد داعم يعطي صفة شرعية ويقلل من مستوى فكرة التغريب وهو دعم الصوت الشرعي لهذا المنجز التغريب، أهم المشاريع التي أدَّت في ديمومة عمل التغريب: اليونسكو والحركات النسويَّة والجامعة الأمريكية.

اليونسكو في عام 1407م للهجرة صدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لجامعة الدول العربية " اليونسكو " ما سمّي الخطة الشاملة للثقافة العربية، وهذا بناءً على توصيات مؤتمر وزراء العرب وكان تحت شعار نحو استراتيجية للثقافة العربية تشكلت اللجنة من مجموعة من الأسماء أغلبهم من التوجه الحداثي الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بثقافة الأمة منهم:

الطيب الصالح " روائي سوادني "
عبد العزيز صالح " شاعر يمني "
شاكر مصطفى " وزير الثقافة السوري "

وزعت الدعوات على 600 مفكر لم يكن من بينهم مثقف إسلامي يحمل همَّ الشريحة الكبرى من هذه البلاد الإسلامية وأسفر اللقاء عن اختيار محمد أركون الجزائري وحسن حنفي المصري، محمد أركون صاحب كتابات التي تسعى لنزع القداسة عن القرآن؛ ويرنو لإعادة تأويل أصول العقيدة وحسن حنفي الذي يزعم أنَّ الإسلام دين علماني في جوهره.

إذن منظمة اليونسكو تمثل أداة لممارسة القهر الفكري وغسيل المخ.

الحركات النسوية العربية انتشرت بعد مؤتمري بكين والقاهرة

انتشرت بشكل ملحوظ وزادت فاعليتها، وهذه الحركات هي فرع تابع للحركات الغربية ولا تخجل إطلاقاً عن إعلان هذه التبعية المفرطة خاصة بعد استحواذ وسيطرة الحركة النسوية على لجنة المرأة في الأمم المتحدة، وباتت قراراتها محل عناية في الاتفاقات الدولية وأصبحت أهدافها بمثابة بروتوكول تعاقب عليها الدول التي لا تقوم بالانصياع لتلك القرارات المنسجمة مع الروح النسوية تعمل على:

1. نشر الانحلال الخُلُقي.
2. معاداة الدين والهوية.
3. تحريض الناس على المجتمع.
4. الدعوة إلى علمنة المجتمع.
5. تنفيذ أجندة غربية.

الجامعة الأمريكية اللهث خلف إنشاء شرخ بين التعليم الديني والتعليم العصري مطمح تغريبي قديم، لِمَا للتعليم من قدرة توصيلية هادئة لمبادئ التغريب وترسيخه.

من أساليب التغريب التي حرص عليها الاستعمار التفريق بين التعليم الديني يظل ينزوي على نفسه، محروماً من كافة الموارد المالية التي تكفل جودة التعليم واستثمار الفرص الملائمة والمحافظة على أصالة الفكرة وبين التعليم العصري الذي يستحوذ على اهتمام الطبقة الحاكمة ويستولي على الامتيازات التي تؤهله للتفوق واحراز نجاحات باهرة.

يخبرنا الأديب محمود شاكر رحمه الله أنَّ أول من عكف على إيجاد هذه الفجوة بين النمطين من التعليم هو رفاعة الطهطاوي وذلك بعد عودته من بعثته، حيث أنشأ مدرسة

الألسن التي تعلم الثقافة العصرية واللغات الأجنبية للناشئة وكذلك أحدث صدعاً مبيناً في ثقافة الأمة، وقسَّمها إلى شرطين متباينين " الأزهر " في ناحية " ومدرسة الألسن " في ناحية أخرى، وصار الأزهر أسيراً يرسف في أصفاده منتبذاً ناحية ولا يدخله إلّا أبناء الفقراء، ونازعته المدارس الجديدة، وانشطر التعليم إلى شطرين ونمت هذه المدارس وتكاثرت، ودخلها أبناء الموسرين وجعلت الهوّة بين الأزهر والألسن تتسع "

ينظر " كتاب رسالة في الطريق على ثقافتنا "

أهم أهداف هذه الجامعة:

1.خلق طبقة من الشرائح الاجتماعية المهيمنة على مفاصل الدولة الحديثة.

2.نشر القيم الغربية.

3.خلق حالة من الأُلفة والاعجاب بالنمط الأمريكي في التعليم ممَّا يسهل التبعية له.

4.بل يذهب بعض الباحثين أنَّ للجامعة مصـالح غير معلنة لا تكشـــف عنها، بل اكتشـــفت أنَّ رئيســـاً ســـابقاً كان عميلاً للمخابرات الأمريكية

" الرسالة الرابعة والعشرون "

الحقيقة المطلقة ليست حكراً على أحد!

تنتشر في الخطاب الفكري المعاصر مقولات مثل " الحقيقة النسبية " أو لا أَحدَ يمتلك الحقيقة المطلقة " وهي عبارات تُستخدم أحياناً لتسويغ التعددية الفكرية بإطلاق دون تمييز بين المسائل الاجتهادية الظنيَّة والقطعيات اليقينية.

وهذا الطرح رغم انتشاره يحمل إشكالات منهجية وعملية تتعارض مع ثوابت العقل والوحي.

أصل الإشكال، الخلط بين المجالات، لا خلاف في أنَّ بعض القضايا تدخل في دائرة النسبية والاجتهاد، كبعض التفاصيل الفقهية أو التفسيرات الاجتماعية، حيث يصح القول كما ذكر الإمام الشافعي رحمه الله " رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب " لكنَّ الإشكال يظهر عندما يطلق هذا المنطق على المحكمات الدينية أو البديهيات العقلية، فيُسوّغ إنكار الحقائق القطعية تحت شعار النسبية.

مخاطر النسبية المطلقة

1. إلغاء الثوابت الدينية يلزم من القول بنسبية الحقيقة المطلقة نزع صفة اليقين عن أصول الإيمان والأحكام القطعية كتحريم الزنا أو وجوب الصلاة، ممَّا يجعلها قابلة للتغيير بحسب الأهواء، وهو ما يناقض مقصد الشريعة في تقرير الحقائق اليقينية.
2. إنهيار المعايير الأخلاقية إذا كانت الحقيقة نسبية تماماً، فليس هناك معيار للحسن والقبح، إذ يصبح الظلم أو العنف "حسناً" في نظر من يراه كذلك! وهذا يؤدي إلى فوضى أخلاقية، كما يُلاحظ في النزعات الشكّية التي ترفض أي حكم ثابت على الأفعال.

3.تناقض ذاتي يُبطل هذا المبدأ نفسه عندما يُسأل صاحبه: هل قولك " الحقيقة نسبية " هو نفسه حقيقة مطلقة أم نسبية؟ فإن قال إنَّه مطلق، نفى نسبية الحقيقة، وإن قال إنَّه مطلق، نفى نسبية الحقيقة، وإن قال إنَّه نسبي، فلا قيمة لقوله لأنَّه لا يُلزم الآخرين بقبوله.

4.معارضة العقل والفطرة تُنكر النسبية المطلقة بديهيات العقل مثل مبدأ السببية " كل حدث له سبب " أو عدم التناقض " لا يجتمع النقيضان "، ممَّا يفتح باب السفسطة والإنكار المطلق للحقائق.

التمييز ما هو نسبي وما هو مطلق!

المجالات القطعية كأركان الإيمان والأخلاق الأساسي" العدل والصدق" فهي حقائق مطلقة تدل عليها الأدلة النقلية والعقلية.

المجالات الاجتهادية كبعض التفاصيل الفقهية أو وسائل التنفيذ، فهي قابلة للتعدد ضمن ضوابط.

خاتمة نحو رؤية متوازنة الدعوة إلى نسبية الحقيقة المطلقة تنطوي على خلل منهجي خطير، لكن هذا لا يعني رفض التعدد في المسائل الظنيَّة.

المطلوب هو الاعتراف بوجود حقائق مطلقة تُستمد من الوحي والعقل السليم، مع فسح المجال للاجتهاد في المسائل الفرعية، وفق ضوابط تحفظ الثوابت وتسمح بالتنوع في المتغيرات، وهكذا يتحقق التوازن بين اليقين والمرونة الفكرية.

" الرسالة الخامسة والعشرون "

الحداثة!

تيار فكري وأَدبي علماني، يستند إلى مفاهيم غربيَّة صرفه كالماركسية والوجودية والنظرية الداروينية، كما استقى أفكاره من التيارات الفلسفية والأدبية السابقة في المجتمعات الغربية.
تسعى الحداثة إلى إلغاء المصادر الدينية وما تفرَّع عنها من عقيدة ومنهج حياة بدعوى أنَّها تراثيات بالية ولم تعد تصلح للحاضر وأنَّها من الماضي ولم تعد صالحة للحاضر.
فمثلاً يُكثر محمد أَركون من استخدام المصطلحات المعقَّدة في مؤلفاته التي يدعو من خلالها إلى قراءة حداثية للقرآن، وهذه المصطلحات في الحقيقة مستمدة من المناهج النقدية التي طبَّقها الغرب على النصوص الدينية مثل التوراة والإنجيل فهو يعتمد عليها بشكل كبير في كتاباته، ضمن خطط ثلاث رئيسية تهدف في جوهرها إلى القطيعة مع الدين وتفكيكه.

الخطة الأُولى شخصنة القرآن أي تحويل النص القرآني من كونه وحياً إلهياً إلى منتج بشري، وذلك بهدف تجريده من قدسيته وزعزعة الثقة بوحي الله تعالى، وهذا يُعدُّ جزءاً من استراتيجية روَّاد الحداثة لنشر الفوضى الفكرية وزرع بذور الشك بين الناس عبر مشروعهم الحداثي، الذي يُعنى برعاية هذه الأفكار وتنميتها، فالجوهر الأساسي لمشروع محمد أركون وزملائه هو النيل من نصوص الوحي وتفكيكها تحت شعار التجديد والقراءة العصريَّة.
الخطة الثانية خطة العقلنة تهدف إلى تطبيق المناهج العلمية والعقلانية على تفسير القرآن، باستبعاد التأويلات الغيبية، في

إطار يشابه محاولات الكنيسة الكاثوليكية لتكييف العقيدة المسيحية مع الفكر الحداثي عبر العقلنة.
الحداثة تيار فكري هدَّام يسعى إلى تقويض اللغة وتشويه التراث والانقضاض على الدين والقيم تحت شعار التحديث، إذا تأملنا حقيقة أهداف روَّاد هذا التيار من خلال أفكارهم وممارستهم، نجدهم يجتمعون على تبنِّي الأفكار العلمانية والوجودية واليسارية، بل ويصل بعضهم إلى تبنّي الأفكار النصرانية، وجميعهم يتشاركون في العداء للثوابت ورفض التراث الإسلامي.
فالحداثة في جوهرها ثورة على الدين ومحاولة للخروج عليه، وهي في المجال الأدبي تعلن التمرد على كل مقدَّس، فتستهين بالدين وتنكر التاريخ وتزدري الماضي وتعبث باللغة وتنقض الأخلاق، إنَّها بضاعة فاسدة وتيار مسموم، ولا خلاص لأمتنا إلّا بمقاومته والتصدي له، حماية لعقيدتنا ووقاية لأبنائنا من شروره التي تفوق أحياناً خطر المسكرات والمخدرات.
جذور الحداثة بدأت من مصر بأول بعثة طلَّابية إلى فرنسا في أوائل القرن التاسع عشر تلك الذي عاد فيها رفاعة رافع الطهطاوي رافعاً لواء الحداثة داعياً إلى تبعية أوروبا مع شيء من محاولة المواءمة! ونهج هذا النهج عدد من المحسوبين على دعوة الإسلام فزلزلوا عقيدة فئة من المسلمين انساقت وراء ذلك البريق الخادع الذي دعمته دعاوى خارجية وداخلية، روَّجها غير المسلمين في بلاد الشام وفي مصر ومن أمثلة ذلك:
سلامة موسى أكره الشرف قال ذلك في كتابه اليوم والغد يجب أن نخرج من آسيا ونلتحق بأوروبا، فإنِّي كلّما ازددت معرفة بالشرق زادت كراهيتي له وشعوري بأنَّه غريب عنِّي، كلما ازددت

معرفة بأوروبا زاد حبّي وتعلقي بها وزاد شعوري بأنَّها منّي وأنا منه.

طه حسين اللاتينية لا العربية في كتابه مستقبل ثقافة مصر يعلن بعد عودته ورجوعه من فرنسا " اللغة العربية وما يضفي عليها رجال الدين من قداسة باعتبارها لغة القرآن، لغة وطنية ملك لنا أن نتصرف فيها " ثمَّ يقول " إنَّ التعليم العالي الصحيح لا يستقيم إلّا إذا اعتمد على اللاتينية واليونانية "

نزار قبَّاني اللغويون منجمون، وعلى ذات الوتيرة قال نزار القبَّاني " اللغويون جمعية منتفعين فكانت الفتوى بشرعية كلمة أو تعريب مصطلح تستغرق من المجامع اللغوية ثلاث سنوات من التنجيم والألوف من كأس الشاي والبابونج "

يوسف السباعي التحلل من الضبط، " يجب أن نتحلل من هذه القيود السخيفة الآن، العرب منذ ألف سنة رفعوا هذه ونصبوا تلك! لنسكِّنَ آخر كل كلمة ونبطل التنوين والجمع بالياء فقط ونخرم أدوات الجزم والنصب من سلطانها "

الحداثة أسلوب جديد في حرب الإسلام، " الحداثة نِحلة خبيثة ترمي إلى هدم الدين في نفوس أهله، واجتثاثه من أصوله حتى يظهر جيل يقدّس ذاته جيل يرتبط بالفوضى والكفر والتحلل " صالح بن عبد العزيز.

حداثيو العرب بحثوا عن رافد عربي ينتمون إليه، نبشوا في تاريخ المسلمين، فلم يجدوا غير فسَّاق التاريخ الذين طرحتهم الصفحات لأدباء وشعراء وخطباء الأمة وعلمائها لم يجدوا إلّا أمثال بشار بن برد، والحلاج وابن عربي وغيرهم من زنادقة وملاحدة العرب في الجاهلية والإسلام وجدوا فيهم العقل والواقع التاريخي كمرجعين بديلين للدين والتاريخ الإسلامي الصحيح.

تقول: خالدة سعيد

"إنَّ البداية الحقيقية للحداثة من حيث هي حركة فكرية شاملة، عندما مثل فكر الروَّاد الأوائل قطيعة مع المرجعية الدينية والتراثية كمعيار ومصدر وحيد للحقيقة وأقام مرجعين بديلين العقل والواقع التاريخي وكلاهما إنساني ومن ثمَّ تطوري"، إذن الحداثة يمكن أن نعتبرها الخلاص من كل ما هو مقدّس واباحة كل شيء للحرية، أو هو العقل الغربي المعاصر الذي يؤسس القانون على إرادة الدولة وعلى حقوق الإنسان ويؤسس الأخلاق على الذاتية ويؤسس الدين على العلمانية.

للكاتبة الحداثية الشيوعية خالدة سعيد زوجة أدونيس.

موقف الحداثيين من الوحي!

إنَّ الفكرة الحداثية العربية لم تصرح برفض الوحي مطلقاً وفي المقابل لم تقبله مطلقاً، إذ الحداثيون يصرحون بأنَّه لا يوجد نص مكتوب في هذه الدنيا يمكن تقبله على أنَّه منزَّل من السماء أو متعالٍ على ظروفه التاريخية التي أوجدته وجعلته ممكناً

ينظر كتاب العقل والتاريخ والوحي.

اعتبروا أنَّ الإقرار بأنَّ النبوة من عند الله هو قضاء على الإنسان، واشترطوا للتقدم تحويل مركز الحضارة من الإلهيات إلى الإنسانيات! ينظر كتاب الدين والثورة حسن حنفي.

كما أكَّدوا على ضرورة تأسيس الدين بدون وحي أو إلهيات، لكي يتمَّ تفسيره من داخله، وتأسيسه على يقينه الذاتي كنظام مستقل، ويصبح اللجوء إلى ما هو خارج الطبيعة لا لزوم له.

ينظر كتاب لعبة المعنى علي حرب.

ويهرفون بقولهم أنَّ الحداثة ترى أنَّ الوحي مرحلة من مراحل الوعي يمكن تجاوزها بعد النضج العقلي للمجتمع البشري!

يقول محمد خلف إنَّ البشرية لم تعد بحاجة إلى من يتولى قيادتها في الأَرض باسم السماء، فقد بلغت سنَّ الرشد، وآن لها أن تباشر شؤونها بنفسها ".

اليوم يعيش الفكر الإسلامي صراعاً حامياً مع الفكر الغربي المادي، وكالعادة تبنَّى بعض من في الداخل الإسلامي هذا الصراع، ومن أولئك الحداثيون الذين تشرَّبوا أفكار أصحابهم الغربيين وراحوا يطوعون النصوص والمفاهيم الإسلامية لتلك المفاهيم الغربية الجافة، ولو أُلغي مفهوم الوحي أو حُرّف عن وجهه الصحيح لنزع من دين الإسلام والقرآن خاصية الألوهية والتعالي على البشرية، وانتفت عنه العصمة والاعجاز بضروبه وأنواعه ولم يصدُق عليه قول الله تعالى " إنَّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم " الإسراء 9، ولم يكن مبايناً للمنتجات البشرية، بل صار مكتسباً بالمران والمراس ولأصبح القرآن مغموراً في وسط المعارف البشرية غير متميز عنها، وهناك من الفلاسفة تدعي الإيمان بالوحي إلّا أنَّ في حقيقتها نابع من الإنسان وقواه المكتسبة بالرياضات والمراس وأن لا فرق بين الفيلسوف والنبي إذ كلاهما مكتسب كمالاً بشرياً فمآل هذا القول كما ترى هو إنكار النبوة.

ينظر النبوات لابن تيمية رحمه الله.

خلاصة القول عند هؤلاء أنَّ الوحي مجرد ظاهرة ناشئة عن خيالات وانطباعات، وهؤلاء جمعوا سوءاتهم كلها بدءاً من اتهام القرآن بأنَّه أرضي منبعه نفس محمد صلى الله عليه وسلم ودعوى أنَّه بشري مستوحى من البشر وأنَّه تاريخي كغيره من الظواهر التاريخية وما ذاك إلّا ليخضعوا مفهوم الوحي لنظريات الفلسفة المعاصرة كالتحليل التاريخي والأنثروبولوجي ومقارنة الأديان.

ختاماً، نستطيع القول أنَّ العلمانية والاستشراق كان لهما الدور البارز في توجيه القراءة الحداثية، ولم تثمر شيئاً سوى التضارب في الأفكار والتناقض في الرؤى والتعقيد في الأَقوال ولم تستطع إنتاج رؤية منهجية لفهم النصوص، والحداثة هي نزع المقدس نزع الوحي ونزع الدين من أن يكون مرجع لحياة الناس، نزع مرجعيته في السياسة والاقتصاد أو في الحياة كلها.

" الرسالة السادسة والعشرون "

الإسلام طاهر واللعبة السياسية قذرة!

المقولة ليست حكمة مطلقة، بل هي أداة خطابية تُخفي رغبة في إبقاء السياسة بعيدة عن أيِّ محاسبة أخلاقية أو دينية، الأجدى هو نقذ " قذارة السياسة " نفسها، والسعي لجعلها نظيفة عبر اخضاعها لمعايير الدين الأخلاقية، لا الهروب منها وكما قال على ابن أبي طالب رضي الله عنه " لا تُصلح الرعية إلّا بصلاح السلطان، ولا يصلح السلطان إلّا بما يصلح به العباد " إذن عبارة الدين طاهر والسياسة قذرة هو تحليل دقيق وكاشف لتناقضاتها الخفية وأبعادها الإيديولوجية، بالفعل هذه العبارة ليست بريئة كما تبدو، بل تحمل في طياتها رؤيةً استبعادية تُفرغ الدين من دوره الحضاري والتغييري دعونا نتعمَّق في بعض النقاط الجوهرية التي أثرتها:

1.التناقض المنطقي في المقولة

العبارة تفترض أنَّ طهارة الدين تُبرر إبعاده عن السياسة وهذا يفترض ضمناً أنَّ السياسة قدر محتوم على قذارته، ولا أمل في تطهيرها، وهذا يتناقض مع فكرة الدين نفسه الذي جاء كما ذكرت لإصلاح الحياة كلها، بما فيها السياسة، لو قبلنا بهذا المنطق، لوجب علينا إبعاد الدين أيضاً عن الاقتصاد لأنَّ المال قد يُفسد، وعن العلم لأنَّه قد يُستخدم في الشر، وهكذا يصبح الدين معزولاً في المساجد دون واقع عملي.

2.السياسة في الموروث الإسلامي

النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون هؤلاء مارسوا السياسة بمعناها الشامل إدارة الدولة، العدل، القضاء، العلاقات الدولية وغيرها من الشؤون التي تتعلق بالسياسة دون أن يعني ذلك تلويثاً للدين هو الموجه والمهيمن على هذه

المجالات، الصحابة مثلاً لم يترددوا في خلع الحاكم إذا انحرف عن العدل كما في قصة عمر بن الخطاب مع سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم ممَّا يؤكد أنَّ السياسة جزء من الدين عندما تُفهم كإصلاح للجماعة البشرية.

3.السياق التاريخي للعبارة

هذه المقولة ليست نتاجاً محايداً، بل هي تعكس صراعاً إيديولوجياً في العالم العربي بين تيارين:

تيار علماني يرى أنَّ الدين يجب أن يكون شأناً فردياً، وأنَّ العلمنة أي فصل الدين عن الدولة هي شرط التقدم.

تيار إسلامي يرى أنَّ الدين نظام شامل للحياة.

اللافت للنظر أنَّ بعض التيار العلماني يستخدم حماية الدين كذريعة لإقصائه، بينما يرفض في الوقت نفسه أن يُحاكم الواقع السياسي بمعايير الدين، وهذا يُثير تساؤلاً: لماذا لا نطالب بجعل السياسة طاهرة بدل التخلي عن تطهيرها؟!

4.المعيار الأخلاقي المفقود

إحدى أكبر إشكاليات فصل الدين عن السياسة هي تحويل السياسة إلى لعبة مصالح بلا ضوابط أخلاقية.

التاريخ الغربي نفسه الذي يُحتذى به في فصل الدين عن الدولة شهد كوارث عندما تحررت السياسة من أي مرجعية أخلاقية كالحروب الاستعمارية النازية، بينما يقدم الدين عندما يُفهم فهماً صحيحاً معياراً للعدل ويحمي المجتمع من استبداد الحكام أو طغيان الرأسمالية.

5.المحركات الخفية

كما أشرت، هناك دوافع خفيَّة وراء هذه المقولة منها:

الخوف من سلطة الدين فالدين حين يكون مرجعية سياسية، يُصبح بإمكان المحكومين محاسبة الحكام باسم القيم العليا كالعدل، والشورى، والمنع من الظلم، وهذا يهدد مصالح النخب الفاسدة.

الهيمنة الثقافية الغربية حيث يتم تصوير العلمانية كمقياس وحيد للحداثة.

الحقيقة أنَّ هذه العبارة مثقوبة من كل جوانبها، وهي إنَّما وضعت لتحقيق هدف معيَّن هو إقصاء بطريقة مهذبة لا تستفز مشاعر المسلمين، فهي تعطي الدين احتراماً لفظياً وتظهر شتيمة للسياسة، ثمَّ تدَّعي أَنَّ من حفظ الدين إبعاده عن هذه السياسة الذميمة، لنصل من خلال هذه المقدمات إلى إقصاء الدين وتهميشه وتعطيله من الحياة؛ فهذه الطريقة في التفكير أو المجادلة أشبه بتلاعب شخص بصبي صغير لا يفقه شيئاً ولا تليق أن تكون مؤثرة في عقل إنسان واع.

" الرسالة السابعة والعشرون "

الإيمان حقيقته في القلب!

يكشف هذه العبارة عن ثنائية في الاستخدام تتراوح بين الشرعي الصحيح والانحراف الفكري، وهو ما يتطلب تفصيلاً دقيقاً:

1.الاستخدام الشرعي الصحيح

في المدونة العقدية تُدرس هذه العبارة في سياق الخلاف بين الفرق الكلامية حول حقيقة الإيمان.

مذهب المرجئة والجهمية يحددون الإيمان بالتصـديق القلبي فقط، مع فصل الأعمال الظاهرة عنه، ممَّا يخالف عقيدة أهل السـنة التي تجمع بين تصـديق القلب، وقول اللسـان، وعمل الجوارح، كما قال الإمام الشـافعي " الإيمان قول وعمل يزيد وينقص" الدلالة الصحيحة الإيمان القلبي هو الأَصل، لكنَّه لا ينفـكُّ عن العمـل الظـاهر، إذ هو شرط كمـال وليس مجرد تكميل.

في التذكير الروحي تستخدم العبارة في سياق التأكيد على إخلاص النية ومراقبة الله في السر، وأنَّ صلاح الباطن يُنتج صلاح الظاهر، والعكس صحيح، كما قال الإمام الحسن البصري رحمه الله " صدقته العمل "

2.الانحراف في الاستخدام المعاصر

تحوَّلت العبارة إلى أداة لتبرير الانحرافات عبر سياقات مغلوطة منها.

التزهيد في الأعمال الظاهرة المشكلة اختزال الإيمان في الجانب القلبي لإسقاط فريضة العمل، كمن يترك الصلاة بحجة إيمانه صحيح.

الردُّ الشرعي النبي صلى الله عليه وسلم جعل الصلاة فارقة بين الكفر والإيمان: " بين الرجل والكفر ترك الصلاة " رواه مسلم

الأعمال الظاهرة جزء من الإيمان، وليست منفصلة عنه.
التهوين من المعاصي كمن يرتكب المنكرات كالتبرج أو الغيبة ويقول المهم القلب نقي.
الردُّ الشرعي المعاصي تضعف الإيمان القلبي، كما في الحديث " إذا زنى العبد خرج منه الإيمان " رواه أبو داود، القلب يصدق عمله، فمن استمرأ المعصية دلَّ على فساد قلبه.
الخلاصة الضوابط الشرعية للعبارة
الصواب الإيمان القلبي أصل، لكنَّه لا يصح دون عمل ظاهر الظاهر دليل على الباطن، لكنَّه ليس دليلاً قطعياً فقد يُخفي المنافق إيمانه.
لا تعارض بين العناية بالقلب والجوارح، بل هما متلازمان.
الانحراف في هذه العبارة عندما تستخدم هذه العبارة تؤدي على تعطيل الواجبات كالصلاة أو الحجاب وغيرها.
تسويغ المعاصي تحت شعار النوايا الحسنة، تفكيك العلاقة بين الظاهر والباطن.
كلمة أخيرة قال ابن القيم رحمه الله " الإيمان حقيقة مركبة من قول القلب وعمله، وقول اللسان وعمل الجوارح " فالفصل بينهما انحراف عن منهج السلف.

" الرسالة الثامنة والعشرون "

الأسرة المسلمة بين تيارات العولمة والمواثيق الدولية!

منذ سـقوط الدولة العثمانية أو قبلها بسـنوات سـعت الدول الغربية في فرض وصايتها على الشـعوب العربية المسـلمة التي تقاسـمتها بعد اتفاقية سـايكس وبيكو، حتى صـارت الشـعوب المسـلمة حالها كالغنم المطيرة في الليل الشـاتية، الذي لم أجد أفضـل من هذا الوصـف لتصـوير مشـهد المسـلمين في العالم المعـاصر، وذلـك من خلال عولمـة مجموعـة من القيم التي تسـود مجتمعات الغرب، والتي تمَّ صـياغتها في إطار فضـفاض ما سـميت حقوق الإنسـان من خلال هيئة الأمم المتحدة التي أسـســها الدول العظمى عام 1945م لتكون أداةً لها في حكم العـالم من خلال لجـان المرأة والطفـل، هـذا مـا كان قصـــدي ومقصـــدي في كتابة هذه الأســـطر، حتى تمَّت صـــياغة تلك اللجان في صـــور ومواثيق واتفاقيات دولية، يتمُّ طرحها على الحكومات.

ومن تلك الوصايا تمكين المرأة أو بعبارة أخرى استقواء المرأة تسلل هذا الانحراف أولاً إلى المجتمعات الغربية النصرانية والشرقية الملحدة، ثمَّ تسارع انتشاره نحو العالم الإسلامي معتمداً على سيطرة الأنظمة العلمانية واختراقها لأجهزة التشريـع لوضع هذه المفاهيم موضع التنفيذ، واجبار المجتمعات على تقبّلها.

هذا التعدي الغربي الصارخ على خصوصية المرأة المسلمة، ومحاولة تشكيل حقوقها وفق النموذج الغربي، عبر توظيف عملاء تابعين لهم لتمرير أجنداتهم، إنَّما يُراد به زعزعة إيمان المرأة بحقوقها التي كفَّلها لها الشرع الحنيف وخالقها سبحانه وتعالى.

من الضروري الاهتمام بكشف المؤامرات التي تُحاك لتفريق المرأة عن هويتها ومواجهتها بجدِّية، وهذا يتطلب عملاً مؤسسياً منظماً وتضافراً للجهود، فلا يكفي الاعتماد على ردود الأفعال العاطفية، إذ لا فائدة من المشاعر دون أَفعال، لقد أثبتت التجارب أنَّ التأسف والندم لا يُجديان نفعاً، بل يجب مجابهة هذه المكائد بمستوى ما يُخطط له الأعداء، ثمَّ الحذر منها والوقاية من خطرها، بمقدار ما يُحيكه الأعداء من مكر.

لقد انطلقت سهام الغرب تُنثَر حول حرمات الأسرة المسلمة تخرق بسفور قداسة القيم التي ثبَّتها الإسلام كالجبال الراسيات، حتى غدت هذه الهجمة الشرسة على حصن المرأة المسلمة، ذلك الحصن المنيع معركة مصيرية تدور رحاها على أرض الهُويَّة، يُراد بها إشاعة الفوضى في عالم الأسرة، لتفكِّك أواصرها وتُقصَف شوكتها، وتُمحى من الوجود كل مقوماتها.

هكذا يلعب الغرب بالنار، يُذكي لهيبها في ظلام دامس، لا ينبغي إلّا أن تتهاوى تحت أقدام الفساد تلك القيم التي صانت كرامة الإنسان قروناً طوالاً.

يتخذ الغرب من هيئة الأمم المتحدة ومنظماتها أداةً لنشر نمط حياته، ساعياً إلى إحلال منظومته الدولية لحقوق الإنسان التي تصطدم بكل ثابت ديني محلَّ منظومة القيم الإسلامية، لا سيّما في حقل الأسرة ذلك الحصن الذي تتكسر عليه أمواج التغريب.

فهو يروّج لرؤيته تحت ستار العالمية، بينما تنزف هويات الأمم قطرة فقطرة، وتذويب ثقافاتها كما يذوب الثلج تحت لهيب شمس حارقة، وتتهاوى قيمنا كأشجار اجتثت من جذورها،

لتحل محلها شتات من المفاهيم التي لا تعرف قدسيةً للروابط، ولا حرمة للثوابت.
فيا لقدرة تلك الآلة الجبارة التي تحول الإنسان إلى رقم في معادلة مادِّيّة، وتجعل من الأسرة كياناً هشَّاً تتلاعب به رياح المصالح، لا تحرسه تعاليم السماء ولا تحنو عليه قيم الإيمان!
فهل ندرك أنَّ المعركة اليوم هي معركة وجود، وأنَّ السكوت عنها يعني أن نرى أبناءنا غرباء في ديارهم، يحملون أجساداً من لحم ودم، وأرواحاً بلا هوية.
ترفع تلك المواثيق شعارات تلمع كالذهب، لكنَّها تخفي في طواياها سمًّاً زعافاً، تتغنَّى بالمساواة المطلقة وحقوق الإنسان، ثمَّ لا تلبث أن تنزع إلى محو الفطرة، فتدعو إلى تماثل تام بين الرجل والمرأة في كل مناحي الحياة السياسة، والاقتصاد والمجتمع، والثقافة، والحياة المدنية، في الأدوار والحقوق والقوانين، وتجعل من أي فارق بينهما، ولو كان حكمة إلهية أو نظاماً طبيعياً وصمة وعيباً وجريمة يُطلق عليها اسم العنف فيجب محوها وإبادتها، بل وتتجاوز تلك الدعاوى كل حدٍّ معقول، فتطالب بإطلاق الحريات الجنسية على مصراعيها، زنا وشذوذاً، بينما تُشدد الخناق على رباط الزواج المقدَّس، فترفع سنّه إلى حدٍّ يصبح فيه الزواج قبل الثامنة عشرة جريمة وجوراً يجب مقاومته واستئصاله.

سنّ الزواج في المواثيق الدولية

من الأهداف التي ركزت عليها المواثيق الدولية رفع سنّ الزواج وذلك بهدف تخفيض معدلات الزيادة السكانية في الدول النامية " العالم الثالث " وقد نصَّت بعض الوثائق على هذا بوضوح التي أصدرتها اليونسف وتحت عنوان " الزواج الشركاء الأطفال " على ما يلي:

" يمدّ الزواج فترة الإنجاب للمرأة ممَّا يُسهم في حجم الأسرة الكبير في غياب وسائل منع الحمل " " وقد ورد في اتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضدَّ المرأة في اتفاقية سيدو الصادرة عام 1979 وهي اتفاقية ملزمة انضمت إليها معظم دول العالم بشأن الزواج تحت سنّ الثامنة عشرة ما يلي : " لا يكون لخطوبة الطفل أو زواجه أي أثر قانوني وتتخذ جميع الإجراءات الضرورية بما فيها التشريع لتحديد سنّ أدنى للزواج" اتفاقية سيدو 16/2.

ترفض اتفاقية سيدو تماماً الاعتراف بالخطوبة أو الزواج تحت سنّ الثامنة عشرة حيث تمَّ اعتبار الطفولة ممتدة حتى سنّ الثامنة عشرة ومن ثمَّ لا يعترف القانون بكل ما يترتب عليه من حقوق للزوجة أو الأطفال الذين يولدون في ظل هذا الزواج بينما في بند آخر تقرّ اتفاقية سيدو بحقوق المرأة التي تلد من سفاح ويحصل طفلها على حقوق متساوية مع الطفل الشرعي من نفقة ونسب وإرث لا فارق بينهما وذلك بدعوى أنَّ مصالح الأطفال هي الراجحة! وهل من مصلحة الأطفال مساواة الطفل الشرعي بغير الشرعي؟ ومساواة الزوجة بالزانية؟

سنّ الزواج في ميثاق الأسرة المسلمة في الإسلام

تحث الشريعة الإسلامية على التبكير بزواج الشباب درءاً لدواعي الانحراف الأخلاقي والجنسي، وذلك وفقاً لما تُنادي به النصوص الشرعية، عن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " يا معشر الشباب، من استطاع من الباءة فليتزوج فإنَّه أغضُّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنَّه له وِجاء " رواه البخاري.

وبخصوص السنّ لم يتناول ميثاق الأسرة في الإسلام في هذه المسألة.

العلاقات غير الشرعية زنا، وشذوذ في المواثيق الدولية

1.اباحة الزنا نصَّت الكثير من بنود المواثيق الدولية على تشجيع الممارسات الجنسية بغضّ النظر عن الحالة الزواجية واعتبرتها من حقوق الإنسان التي لا يجوز منعها أو المعاقبة عليها مثل ما ورد في البنود التالية:

***نصَّ تقرير لجنة حقوق الطفل بالأمم المتحدة 2004م على " التمييز القائم على النوع يثير القلق بوجه خاص لأنَّه يقترن بالنشاط الجنسي الذي تمارسه الفتيات بأنَّه نشاط محرَّم أو يتخذ بصدده موقف سلبي أو موقف تصدر فيه أحكام عليهنَّ ممَّا يحدّ في حالات كثيرة من إمكانية حصولهنَّ على تدابير وقائية وعلى خدمات أخرى " تقرير لجنة حقوق الطفل الجمعية العامة للأمم المتحدة الدورة 59 نيويورك 2004.**

الدلالات:

تشعر لجنة حقوق الطفل بالأمم المتحدة بالقلق نحو مؤاخذة الفتيات اللواتي يرتكبنَ الزنا مستنكرة أن يتمَّ اعتباره نشاطاً محرَّماً والسبب في منظور اللجنة ليس كون تلك العلاقات ضارَّة بالفتاة، بل لإنَّ الفتاة تعيش في مجتمع يحرّم تلك العلاقات ويجرُّمها ستشعر بالخوف من المجتمع ولن تسعى للحصول على التدابير الوقائية والخدمات الأخرى، أي أنَّها ستخاف من شراء الواقيات الذكرية أو الأنثوية أو طلب الإجهاض في حال حدوث حمل نتيجة الزنا!

* وفي تعليق لجنة القضاء على التمييز ضد المرأة على التقرير المقدم في اللجنة في يناير 2005م حثت اللجنة على تركيا " إعادة النظر على المادة في تجريم العلاقات الجنسية الرضائية بين الشباب المتراوحين أعمارهم من 15_ 18 سنة " ينظر تعليقات ختامية بالقضاء على التمييز ضد المرأة الدورة الثانية والثلاثين يناير 2005.

الدلالات:

ترى لجنة القضاء على التمييز ضد المرأة أنَّ تركيا عليها أن تلغي العقوبة على الزنا للشباب المتراوحة أعمارهم 15_ 18 عاماً طالما أنَّ العلاقة برضى الطرفين، في حين تحارب اللجنة وغيرها من لجان الأمم المتحدة الزواج الشرعي في نفس هذا السنّ مدعية أنَّه عنف على المرأة.

2.اباحة الدعارة وحمايتها قانونياً ومجتمعياً

يعرف الدليل الإرشادي بشأن الإيدز والعمل الجنسي الداعرين في الأمم المتحدة كما يلي:

" العاملون في الجنس هم أنثى ذكر متحول النوع من البالغين والشـــباب ذوي الأعمار ما بين 18_ 24 الذين يتلقون المال أو البضـائع في مقابل خدماتهم الجنســية إمَّا بشــكل دوري أو في المناسبات ".

في الســـابق كان معروفاً أنَّ الدعارة تطلق على فئة من النســـاء ولكن دليل الأمم المتحدة وسع مفهوم الدعارة ليشمل الشواذ جنســـياً من ذكور ومتحولين جنـدرياً وذلـك تمهيـداً لغرض حمايتهم قانوناً ورعايتهم صحياً.

يمتدح الدليل بيوت الدعارة التي تقدم الواقيات الذكرية وسائر خدمات الوقاية من الإيدز كما يستنكر بشدة ما يتعرض له

الداعرون من ملاحقة رجال الشرطة الذين يطبقون القانون ويحاربون البغاء، ومن ثمَّ يطالب بإباحة الدعارة قانوناً بدعوى أنَّ تجريمها يحرم الداعرات وزبائنهم من طلب خدمات الوقاية من الإيدز.

3.إباحة الشذوذ الجنسي

يتمّ إباحة الشذوذ الجنسي في المواثيق الدولية من خلال مصطلح الجندر النوع ومشتقاته:

تعرفه منظمة الصحة العالمية كما يأتي:

" يشير الجنّدر إلى الخصائص المؤسسة مجتمعياً للمرأة والرجل مثل الأعراف والأدوار والعلاقات بين مجموعات النساء والرجال وهي تختلف من مجتمع إلى مجتمع ويمكن تغييرها وفقاً لتعريف منظمة الصحة العالمية للجندر فإنَّ خصائص الرجال والنساء والعلاقات بينهم مؤسسة مجتمعياً أي أنَّ المجتمع وليست الفطرة والتكوين البيولوجي هو الذي أسسها بمعنى أنَّ المجتمع هو الذي علَّم المرأة أن تقوم بدور الزوجة والأم وعلَّم الرجل أن يقوم بدور الأب والقيّم على الأسرة وهو الذي فرض طبيعة العلاقات بين الرجال والنساء، ووفقاً لذلك التعريف تكون تلك الخصائص والعلاقات متغيرة وليست ثابتة طالما أنَّما مؤسسة مجتمعياً وليست مؤسسة فطرياً! فإذا ما تغيرت ثقافة المجتمع حينها ستختلف طبيعة العلاقات بين مجموعات النساء والرجال حيث يتبادل الرجال والنساء الأدوار داخل الأسرة أو يتقاسمانها، يمكن أن تتبدل العلاقات بينهما فلا قوامة للرجل ولا طاعة للمرأة، ويمكن أن تصبح العلاقة بين امرأتين أو بين ذكرين!

" الرسالة التاسعة والعشرون "

الخلط الظاهري بين النص ونظريات علم الفلك!

يتسمُّ التصور الإسلامي بروح التوازن والتكامل، فلا يفضل معرفة على أخرى، ولا يقيم حدوداً بين مناهج الفكر، فالوحي مصدر هداية نقيَّة تنزل من عالم الغيب، والعقل مصباح يضيء درب الفهم، والحسُّ باب ندخل منه إلى عالم الشهادة، والخبرة الصادقة والتجربة هما الجسر الذي نعبر عليه للتحقق من الحقائق.

وكلها ينسجم في نظام بديع، لأنَّ مصدرها واحد هو الله سبحانه، خالق الأسباب ومعطي الحكمة فلا تصادم في كون جعله الرحمن موحداً في أصله، متنوعاً في أساليب معرفته.

قال ابن تيمية رحمه الله " ما خالف العقل الصريح فهو باطل، وليس في الكتاب والسنة والإجماع باطل، ولكن فيه ألفاظ قد لا يفهمها بعض الناس، أو يفهمون منها معنىً باطلاً فالآفة منهم، لا من الكتاب والسنة " مجموع الفتاوى 11/ 490.

بعد التأمل العميق، استنارت عقول العلماء بحقيقة ناصعة كل ما يُظنُّ من تضارب بين منطق العقل ونصوص الشرع، أو بين روح الدين وبديع العلم، فهو وهْم يزول حين تتجلى الحقائق.

إنَّه إمَّا نقل لم تصحْ سلالته، أو عقل لم يبلغ عمق الفهم، فالنصوص الثابتة كالنجوم في وضوحها، والعقول السليمة كالشمس في إشراقها، لا يختلفان إلّا إذا حجب السحاب رؤية الناظرين.

وإذا بدا للعين تعارض، فالثغر في مرآة الفهم لا في جوهر الأصل، والحكمة لا تتصادم، وإنَّما القصور من إدراكنا نحن، فكل وعاء بما فيه ينضح.

المنهج التجريبي أسسه وتطبيقاته في الحضارة الإسلامية

فإنَّ للحسّ والتجربة في فضاء الإسلام منزلة تليق بجلالهما، وتتناسب مع مكانتهما كأداتين جليلتين من أدوات المعرفة.

لم يقف علماء الإسلام يوماً موقف الخصومة من الحواس أو التجربة، بل رأوا فيهما جسراً يعبرون به إلى فهم السنن الإلهية في الكون، وسبيلاً لإدراك أسرار الخلق.

لقد أقام أولئك الأعلام صرحهم العلمي الشامخ على أساس التوازن العجيب بين الوحي المنزل والعقل المفكر، والنص المقدس والتجربة المحسوسة.

فكما أنَّ العقل هو مناط التكليف ومرآة التكريم، فإنَّ الحسَّ هو نافذة الإنسان على عالم الشهادة، والتجربة هي الممحاة التي تمحو ظلام الجهل، والمفتاح الذي يُقفل به كنوز الطبيعة.

بهذين الركنين تُكتمل دائرة المعرفة، ويُبنى عليهما صرح الاستنباط والاستدلال، فيصبح العلم نوراً فوق نور، وحكمة تتدفق من مشكاة الوحي ومصابيح العقول والتجارب، فهنيئاً لمن سلك هذا الطريق، وجمع بين نور البصيرة ونور البصر، فكان من الذين يؤتون الحكمة، ويشهدون سنن الله في الآفاق والأنفس.

بل قرر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنَّ العلم النظري لا يحصل إلّا بعد الحس الاعتبار بالنظر والقياس، وإنَّما يحصل به بعد العلم بالحسّ، فما أفاده الحسُّ معيَّناً يفيده العقل والقياس كليَّاً مطلقاً.. والخبر يتناول الكليات والمعينات

والشـاهد والغائب، فهو أعلم وأشـمل، لكن الحسَّ والعيان أتمُّ وأكمل " درء تعارض العقل والنقل 7/ 324

ولذلك قرر المحدثون أنَّ معارضة الحسَّ دليل على وضع الحديث، قال ابن الجوزي رحمه الله " من جملة دلائل الوضع أن يكون مخالفاً للعقل.. ويلتحق به ما يدفعه الحسُّ والمشاهدة " ينظر تدريب الراوي 1/ 277.

وقال ابن القيم رحمه الله عمَّا يُروى " إذا عطس الرجل عند الحديث دليل صدقه " هذا الحديث وإن صحح بعض سنده، فالحسُّ يشهد بوضعه، لأنَّا نشاهد العطاس والكذب يعمل عمله " ينظر المنار المنيف ص 55.

بل أقرَّ النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه حكمته وتصرفه الذي رآه بعينه مخالفاً ظاهر الأمر، موضحاً أنَّ الشاهد على الأرض يدرك من الحقائق والمصالح ما يغيب عن الغائب عنها، مؤكداً أنَّ المشاهدة لا تعارض الخبر اليقيني بل تُكمله وتفسره.

يعتمد الإدراك على الحواس، بينما تُعد التجربة الوسيلة الرئيسية لفكِّ العلاقات بين الظواهر الطبيعية، والتي تقوم عليها العلوم وتُستخلص منها قوانينها، إلّا أنَّ العقل يلعب الدور المحوري في تفسير معطيات التجربة واستخراج القوانين العامة منها، وهذه هي الفكرة الأساسية التي تقوم عليها الفلسفة التجريبية.

ويوضح ابن تيمية رحمه الله أثر التجربة على المعرفة قائلاً:

" وكذلك المجرَّبات، فعامة الناس قد جرَّبوا أنَّ شرب الماء يحصل معه الرِّي، وأنَّ قطع العنق يحصل معه الموت، وأنَّ الضرب الشديد يوجب الأَلم، والعلم بهذه القضية تجريبي، فإنَّ الحسّ إنَّما يدرك رِيَّاً معيَّناً، وموت شخص معين. أمَّا كون كل

من فعل به ذلك يحصل له مثل ذلك، فهذه القضية الكلية لا تعلم بالحسّ، بل بما يتركب من الحسّ والعقل " ينظر الردّ على المنطقيين ص 134.

لا يتعارض القرآن الكريم مع هذه المناهج المعرفية، بل يقرّها ويحثّ على اعتمادها والتأمل فيها، غير أنَّ غايته لا تكمن في وصـــف الظواهر كما هي في ذاتها، بل في تقديم رؤية عنها كما يدركها الإنســـان وينفعل بها، بما يخدم الغاية الوجودية من خلقه.

ومن هنا جاء التعبير القرآني على وفق ما يشاهده الناظر، كما في قوله تعالى " ووجدها تغرب في عينٍ حمئة " الكهف 86 أي بحسب ذو القرنين، لا بحسب الواقع الكوني، ولذلك أجمع المفسرون أنَّ الشمس لا تغطس في الماء وإنَّما هذه عبارة صورة مرئية للإنسان، لا حقيقة الأمر بما هو عليه.

ويقول الإمام الغزالي " إنَّ الخطاب إنَّما يكون بحسب حال المخاطب وفهمه.. فإن كان الخطاب مع نجّار لا يحسن إلّا النجارة وجب على مرشده ألّا يضرب له المثل إلّا من صناعته، ليكون ذلك أسبق إلى فهمه " ينظر معيار العلم 61

نماذج لآيات قرآنية كريمة أُسيء تفسيرها أو فهمها!

1.الفهم الخاطئ للنصـــوص القرآنية وأثره في نظرية الأرض المسطحة.

الزعم بأنَّ الأرض مسطحة وثابتة، وأنَّ القول بكرويتها ودورانها مخالف لنصوصه زعم باطل، يقوم على فهم خاطئ للنصوص القرآنية، وجمود على ظاهر بعض الألفاظ دون اعتبار لدلالة الســـياق، والمقاصـــد القرآنية، واللغة العربية، وما أثبته العلم.

الردّ على الشبهة من حيث فهم النصوص القرآنية:
قوله تعالى " وإلى الأرض كيف سطحت؟! " الغاشية 20 لفظ " سطحت " لا يعني بالضرورة التسوية الهندسية المسطحة تماماً كاللوح، بل معناه بسطت ومهّدت ليكون فيها منافع للخلق، بحيث تصبح صالحة للسكنى والاستقرار والعمران، وهذا لا يتنافى مع كرويتها، فالكرة إذا كانت كبيرة جداً جداً كالأرض فأنَّ كل جزء صغير منها يبدو للناظر وكأنَّه مسطح تماماً.
وهذا يدركه كل من ينظر إلى الأفق من على سطح الأرض.
السياق التي وردت فيه الآية هو سياق الاعتبار والتفكر في نِعَم الله، وليس وصفاً هندسياً دقيقاً لشكل الأرض، فالله تعالى يأمرنا أن ننظر إلى كيف سهلها الله وبسطها لنا وجعلها صالحة للحياة، بعد أن كانت كتلة ملتهبة أو غير مستقرة.
2.الآيات التي تذكر شروق الشمس وغروبها
هذه الآيات تخاطب الناس بلغة حسيَّة إدراكية، فهي تصف ما يراه الناس بأعينهم شروقاً وغروباً، وهذا لا ينفي حركة الأرض.
فحتى في علم الفلك الحديث، ما زلنا نستخدم تعبير شروق الشمس وغروب الشمس كاصطلاحات لوصف الحركة النسبية بين الأرض والشمس كما تظهر لنا، القرآن لم يقل أبداً إنَّ الشمس تدور حول الأرض، بل " والشمس تجري لمستقر لها " يس 38، وهذا وصف دقيق لعملية فلكية معقدة حركة الشمس في مجرتها لم تكن معروفة للبشر وقت نزول القرآن.
وقد أكَّد العلماء قديماً أنَّ كروية الأرض مسلَّمة ومنهم ابن تيمية رحمه الله حيث قال " اعلم أنَّ الأرض قد اتفقوا على أنَّها كروية الشكل، وهي في الماء المحيط بأكثرها، إذ اليابس

السدس وزيادة بقليل، والماء أيضاً مقبب من كل جانب للأرض، والماء الذي فوقها بينه وبين السماء كما بيننا وبينها ممَّا يلي رؤوسنا، وليس تحت وجه الأرض إلّا وسطها ونهاية التحت المركز " ينظر مجموع الفتاوى 5/ 150.

كما قال ابن حزم رحمه الله " لم ينقل عن أحد من أئمة المسلمين إنكار تكوير الأرض... بل البراهين من القرآن والسنة جاءت بتكويرها " ينظر الفصل في الملل والنحل 2/ 78.

القصور الإدراكي في تفسير الإشارات الكونية في القرآن الكريم!

يقع بعض الباحثين في أخطاء منهجية جسيمة عند محاولة الربط بين النصوص الشرعية والحقائق العلمية الحديثة، تنشأ هذه الأخطاء من تصور خاطئ لماهية القرآن الكريم ووظيفته الأساسية، حيث يتعاملون معه على أنَّه كتاب فيزياء أو مرجع علمي شامل للعلوم بالمعنى الحديث، إمَّا بأن يجب أن يحتوي على كل النظريات العلمية بتفاصيلها أو أن يرفضها صراحة إذا لم تذكر فيه.

هذا التصور ينتج عنه اتجاهان متقابلان ومتطرفان:

1.الانحراف الأول الغلو والإسراف في التفسير العلمي " الإعجاز العلمي المتكلف "

مظاهره: يتجلى هذا الاتجاه من يعنون " الإعجاز العلمي" إسقاط كل نظرية علمية حديثة بل وحتى مجرد فرضيات على آية من القرآن، حتى ولو كان ذلك يتطلب تكلّفاً واضحاً في التفسير وتحريفاً للمعاني اللغوية والشرعية للنص.

وتحولت النصـــوص في أيديهم إلى مجرد نصـــوص فيزيائية أو كيميائية أو فلكية، مفصولة عن مقصدها الأصيل وهو الهداية والإيمان والتشريع.

آثاره ومخاطره:

المزالق التفســـيرية: تحميل النصـــوص مـا لا تحتملـه من الدلالات، ممَّا يشوه البلاغة القرآنية ويخرج بها عن مسارها.

الإســاءة إلى مكانة القرآن: تحويل القرآن من كتاب هداية خالد إلى كتاب علوم طبيعية قابلاً للتصـــحيح والتعديل مع تطور النظريات العلمية، فإذا سقطت النظرية العلمية التي بُني عليها التفسير، سقط التفسير معها ممَّا يهزُّ ثقة العامة.

الانفصـــال عن المقصـــود الشـرـعي: إهمال الجوانب العقدية والتربويـة والتهـذيبيـة التي هي صـــلـب وظيفـة النص القرآني.

2.الانحراف الثاني: الجمود والرفض المطلق للعلوم الحديثة

مظاهره: يقابل الاتجاه السـابق اتجاه آخر متشـدد، يرفض أي حقيقة علمية تجريبية لم يذكرها السلف الصالح بنص حرفي، أو لم ترد في القرآن أو السنة بشكل صريح.

ويعتمد هذا الاتجاه ميزاناً لفظياً جامداً، ويستند إلى حجج مثل " لو كان خيراً لسبقونا إليه " أي الصحابة والتابعون.

آثاره ومخاطره:

إنكار البديهيات العلمية يؤدي هـذا الجمود إلى إنكار حقائق علمية ثابتة لا ريب فيها ككروية الأرض، الجـاذبية، دوران الكواكب " لمجرد أنَّ السـلف رضـوان الله عليهم لم يتحدثوا عنها بتفاصيلها العلمية الحديثة.

خطأ فهم دور السلف فالسلف لم يكلفوا بالخوض في التفاصيل التجريبية للعلوم الدنيوية، بل كان مدار اهتمامهم الإيمان والهداية والعمل الصالح، فهم أَعطونا الأصول والثوابت، وتركوا لنا مساحة للاجتهاد في أمور الدنيا التي تتطور.

مخالفة التوجيه النبوي هذا الموقف يتناقض مع التوجيه النبوي الواضح في قوله **صلى الله عليه وسلم " أنتم أعلم بأمور دنياكم "** رواه مسلم.

فهذا الحديث يؤصل أنَّ الأمور التجريبية والدنيوية من أمور دنياكم موكلة إلى خبرة البشر وتجاربهم.

الخطأ المنهجي المرتبط: تقديم جنس الدليل الشرعي على جنس الدليل العقلي

هذا الخطأ يشكل أرضية خصبة لكلا الانحرافين السابقين:

مضمونه: وهو الاعتقاد بأنَّ أي دليل منقول شرعي يجب أن يقدم على أي دليل عقلي أو تجريبي، لمجرد كونه منقولاً، بغض النظر عن قوة الثبوت أو الدلالة.

آثاره ومخاطره:

اللوازم الفاسدة هذه الطريقة تؤدي إلى نتائج غير مقبولة، مثل تعطيل العقل الذي هو أداة فهم النقل، وخلق تعارض مصطنع بين الشرع والعقل، بينما الحقيقة أنَّ الصحيح من العقل لا يخالف الصريح من النقل.

ليست طريقة لنصرة الإسلام يظنُّ البعض أنَّ في هذه الطريقة نصرة للدين في مواجهة حقائق الواقع والكون التي هي من آيات الله، ممَّا يسبب النفور والاستغراب.

الصواب هو أنَّ الحق لا يتعارض مع الحق فإذا ثبتت حقيقة علمية تجريبية يقينية دليل عقلي صريح، فلا يمكن أن يعارضها نص شرعي صحيح صريح قطعي الدلالة.
إذا حصل تعارض ظاهري، فهو إمَّا في فهم النص فيحتاج إلى تأويل بما يتناسب مع اللغة دون تكلف أو فيكون الحقيقة العلمية ليست يقينية بعد، بل مجرد نظرية قابلة للتغيير.
الخلاصة والتوازن المنشود!
المنهج المتوازن يرى أنَّ القرآن الكريم كتاب هداية، يخاطب البشر جميعاً على اختلاف عصورهم وعلومهم.
وهو يذكر حقائق كونية كبرى كخلق السماوات والأرض، وتسخير الشمس والقمر، ونشأة الحياة، لتكون آيات على عظمة الخالق وتقود إلى الإيمان به، وليس ليكون كتاباً في التفاصيل التقنية والنظريات العلمية المتطورة.
فهو يضع الإطار العام والغاية، وتترك التفاصيل والتطبيقات للعقل البشري الذي سخره الله لاستكشاف السنن والقوانين في الكون.
يقول ابن تيمية رحمه الله " تقديم الجنس على الجنس باطل، بل الواجب أن ينظر في عين الدليلين المتعارضين، فيُقدم ما هو قطعي منهما، والراجح إن كانا ظنيّين، سواءً كان هو السمعي أو العقلي " ينظر كتاب درء تعارض العقل والنقل 1/ 136_ 137.

" الرسالة الثلاثون "

لست مسؤولاً عمَّا يحدث!

كثيراً ما يواجه المسلم الذي ينهى عن منكر أو ينصح بمعروف بعبارات " دع الخلق للخالق أو عليك بنفسك أو لست مسؤولاً عمَّا يحدث " هذه العبارات، وإن كانت تحمل شيئاً من الحق في عدم التحكم بالآخرين، إلّا أنَّها تُستخدم غالباً لإسكات صوت الناصح وإضعاف همته، وكأنَّ مسؤوليته تنحصر في أفعاله الشخصية فقط.

وهنا يبرز سؤال جوهري هل مسؤوليتنا كأفراد تنحصر حقاً دائرة ذواتنا الضيقة، أم أنَّنا مسؤولون أيضاً عمَّا يحدث في محيطنا ومجتمعنا؟

لاشكَّ في أنَّ هذا الكلام باطل، لا يجوز للمسلم أن يتبرأ من مسؤوليته تجاه مجتمعه وما يجري حوله، فمسؤوليته تتجاوز ذاته إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي شعيرة عظيمة جعلت هذه الأمة خير أمة أُخرجت للناس، إنَّها تكليف ربَّاني، وليس خياراً شخصياً يُتجاوز عنه.

مهمة الأمر بالمعروف تتجاوز كونها واجباً دينياً لتصبح رسالة إنسانية، فهي تعني توجيه الناس وإرشادهم نحو كل ما فيه مصلحة دينهم ودنياهم، كما أنَّ النهي عن المنكر يقتضي حمايتهم وتحذيرهم من كل ما يسبب لهم الضرر في شؤونهم كلها.

وعليه، فإنَّ ما تراه من أخطاء او تسمعه من منكرات حولك يضع على عاتقك مسؤولية المبادرة بإصلاحها بحسب استطاعتك، وذلك بتقويم الخطأ وتصحيح المسار بالحكمة والموعظة الحسنة.

إنَّ الفارق جلي بين نفسين: نفس تتحمل أمانة المسؤولية، فتنطلق بالإيجابية والعطاء، تسعى للإصلاح بقدرها وتترك في محيطها أثراً نافعاً يذكرها الآخرين بالخير، ونفس أنانية تتردد على شفتيها ليس من شأني لا تؤثر في محيطها ولا تحدث فيه فرقاً، وجودها كعدمها.

فهل يمكن أن يتساوى من يضيء شمعة في الظلام مع من يكتفي بالسير في نورها وحده؟

تعدُّ عبارة عليك نفسك في مثل هذا السياق من أبغض العبارات إلى الله تعالى، فقد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله " إنَّ أبغضَ الكلام إلى الله عز وجل أن يقول الرجل للرجل: اتق الله، فيقول: عليك بنفسك" رواه البيهقي

وتكشف لنا الشريعة الإسلامية عن تقديرها العظيم للمصلحين من خلال تأسيسها لأصول راسخة تُظهر تفويت الإصلاح على مجرد الصلاح الفردي، وإن كان الجمع بينهما هو الهدف الأمثل الذي يريده الشرع، وليس إلغاء دور الإصلاح لصالح الصلاح الذاتي فقط.

ومن هذه الأصول المحكمة الأدلة الواضحة على فرضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحذير الشارع الحكيم للأمة من العواقب الوخيمة إذا تخلت عن هذا الواجب الجهادي.

إضافة إلى ذلك، يثني الله تعالى في كتابه على الذين يتواصون بالحق ويتواصون بالصبر.

فالإنسان بحكم طبيعته معرض للخسارة، ولن ينجو منها بمجرد اكتفائه بصلاح نفسه، عبر تحقيقه للإيمان والعمل الصالح فحسب، بل إنَّ النجاة الكاملة لا تكون إلّا لمن جمع

ذلك سعيه في إصلاح غيره، بتذكيرهم بالحق، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتواصيه معهم على الصبر في سبيل هذا الدعوة وعلى ما قد يواجه من أذى بسببها.

بالتأمل في الدافع الحقيقي وراء مقولة لســـت مســـؤولاً عمَّا يحدث يتبين أنَّ مغزاها الحقيقي لا يتطابق مع ظاهرها، ففي الواقع العملي لا يمدح الناس شـــخصـــاً يتجاهل من حوله، بل يرون هذا السلوك تجسيداً للأنانية والضعف والكسل.

وإنَّما تُستخدم هذه العبارة في الغالب لإثبات الهمم عن القيام بواجب الإنكار تجاه نوع محدد من الأخطاء، وهو المتعلق بالواجبات الشرعية والمحرمات، حيث يُشجَّع الشخص على التخلي عن مسؤوليته تحت شعار لست مسؤولاً.

ولذا، إذا شاهد إنساناً يتعرض للاعتداء، أو يُصاب بمرض، أو تحل به كارثة، فلن يجرؤ أحد على القول لست مسؤولاً، بل على العكس، سيمتدح الجميع أي موقف مساند أو مساعد يقدم لهذا الشخص المحتاج.

حقيقة الأمر أنَّه تزهيد الواجب الشرعي الذي يتعلق بالحث على الفرائض والنهي عن المحرمات، وكلها من المعالي التي يُحمد عليها الإنسان ويُؤجر بها، فكل ما أمر الله به من الواجبات أو المعاملات، أو حفظ الحقوق، أو نصرة المظلوم، أو إغاثة الملهوف، جميعها أحكام شرعية تشرف النفوس بالأمر بها والنهي عنها مخالفتها.

أمَّا التعامل مع بعض المنكرات بالقول لست مسؤولاً عنها فهو في الحقيقة تصغير لشأنها وتقليل من قيمتها في نفوس المسلمين، وهو يُغري بالانتقاص ويفضي إلى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي ركن من أركان الإصلاح.

بل هو نزع لروح المسؤولية الجماعية التي تجعل الأمة جسداً واحداً، إذا اشتكى بعضه تداعى له سائر جسده بالسهر والحمَّى.
فإنَّ من أغرب ما يتردد في أروقة الفكر، وأعجب ما يتناقله الناس، ذلك التصور الفاسد الذي يقصر المسؤولية الدينية على ذات الإنسان دون من حوله، كأنَّما أُلقيت بين جنبيه وأُغلق دونه باب العالمين! وهو وهم قديم، نبت من سوء فهمٍ لكلمة الحق في قوله تعالى " يا أيها الذين عليكم أنفسكم لا يضرُّكم من ضلَّ إذا اهتديتم " المائدة 105، ولكنَّ الفهم الثاقب والنظر المستنير، لا يقف عند ظاهر اللفظ، بل يتغلغل إلى أعماق المعنى.
فقد صحَّ عن الصدّيق أبي بكر رضي الله عنه وهو الحبر الذي نهل من معين النبوة أنْ وقف خطيباً في الناس فقال: " إنَّكم تقرؤون هذه الآية، وإنَّا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنَّ الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه، أوشك أن يعمهم الله بعقابه " أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد.
فأبانَ رضي الله عنه بحكمته التي اســـتقاها من الوحي أنَّ الآية الكريمة لم تأمر بالانطواء على الذات، ولا بالتخلي عن النصح الواجب للخلق، بل هي توجيه إلهي رفيع يؤكد أنَّ الأمة متى تخلَّت عن فريضـــة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهي مهددة بسخط الجليل وعقابه.
وإنَّما مقصود الآية أنَّ فعل الآخرين لا يضرّك إذا أنت قمت بالواجب الشرعي، وأديت ما عليك من أمر ونهٍ، ونصح وإرشاد فليس المطلوب منك أن تُلزم الناس بطاعتك، أو تســيطر على إراداتهم، فهذا ممَّا لا قدرة لبشر عليه، وإنَّما المكلف به أن تبلغ حجة الله، وتؤدي أمانة النصـيحة، ثمَّ إلى الله مرجع الجميع، فينبئهم بما كانوا يعملون.

فإذا اهتديت، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، فقد وفَّيت بما عليك، وحينئذ فلم يضرّك ضلال الضالين، ولن يحزنك تقصير المقصرين، فهي عزيمة للعمل، لا عذرة للتقاعس، وحضّ على المسؤولية، لا تبرير للإخلاد إلى السكون.

ولذلك جاء في القرآن الكريم أنَّ النجاة موقوفة على الإصلاح قال تعالى " وما كان ربّك ليهلك القرى بظلمٍ وأهلها مصلحون" هود 117، فالإصلاح هو الحارس من العقاب الإلهي، لا مجرد صلاح فردي لا يقيم واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

خلاصة القول: لو أنَّ القائل أتْبَع عبارته بالامتثال للواجب الشرعي في النهي عن المنكر، لكانت مقولته سديدة، عندها يكون قد حذَّر من أنَّ وبال السيئة يعود على صاحبها فحسب، شريطة أن نؤدي نحن واجبنا في الإنكار.

أمَّا التخاذل عن هذا الواجب، فالمفسدة لا تُصيب المذنب فقط، بل تتعداه إلى الساكتين، بل إلى عموم الأمة، فتُوزَّع التبعات على كل بقدر ما فرَّط.

" الرسالة الحادية والثلاثون "

مفهوم الحريات في إطار المقاصد الشرعية!

إنَّ مفهوم الحرية في الإسلام ليس باباً عقلياً يُؤخذ برأي المجتهدين وحدس المفكرين، وإنَّما هو باب شرعي تُؤخذ مفاتيحه من وحي السماء، ونصوص الشريعة الغرَّاء.

فلا يُعقل أن يُستدل على أحكام الجزية وأهل الذمة، وحدود الله في العقوبات والحدود، ومقادير الحقوق والواجبات، بمجرد العقل المجرد الذي تختلف فيه الآراء، وتضطرب فيه الأفكار.

فالعقل وحده مع جلالة قدره قاصر عن إدراك تفاصيل التشريع، عاجز عن سبر أغوار الحكمة الإلهية في تقرير المصالح والمفاسد.

ولذلك؛ فإنَّ سبيل المعرفة الحقَّة في هذا الباب إنَّما هو بتتبع النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، وجمعهما على وجه التآلف والائتلاف، لا على سبيل الانتقاء والاجتزاء.

فالشريعة كالبناء المتكامل، لا يُفهم حجر منها بمعزل عن الآخر، ولا يُؤخذ نصّ مجرَّداً عن سياقه ومقاصده.

فلا يُفهم قول الله تعالى " لا إكراه في الدين " البقرة 256 بمعزل عن قوله تعالى " وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما" الحجرات 9، ولا عن قوله تعالى "والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما " المائدة 11، ولا عن قوله تعالى " يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين " التوبة 73

فالجمع بين النصوص هو الذي يخرج الفهم من ضيق الأخذ ببعضها إلى سعة النظر في كلها.

ثمَّ إنَّ هناك عاملاً خارجياً خطيراً يؤثر في تشكيل المفاهيم حول الحرية، ألَا وهو ضغط الثقافة الليبرالية الغربية، التي تسرَّبت

إلى بعض الأطروحات الإسلامية المعاصرة، فشوَّهت التصور، وأحدثت بلبلة في الفهم، فصار بعض الناس ينظر إلى الحرية من خلال مرآة الغرب، لا من خلال نصوص الوحي، فاختلطت المفاهيم وطُمست المعالم.

فالواجب إذن هو العودة إلى النبع الصافي، والتمسك بالوحيين، وفهم الحرية وغيرها من المفاهيم على ضوء ما جاء به الشرع الحكيم، بعيداً عن تأثيرات الثقافات الوافدة، وآراء المدارس المستوردة.

في رحاب الحرية الإســـلامية تتجلى حكمة إلهية فريدة، ترفع الإنســـان من وثاق العبودية لغير خالقه، فتحرره من ســـلطان المال والشهوة التي تستعبد القلب قبل الجسد.

إنَّها حرية تنطلق من قيم السماء لتؤسس لعزَّة الإنسان في الدنيا والآخرة.

وفي تصور الإسلام للحرية، ثمَّة حكمة بالغة في الفرق بين عالم الاعتقاد الشخصي الخفي، وعالم الإعلان العلني.

فالإســـلام بحكمته التي ترعى الفطرة وتحفظ النظام لا يمنع أحداً من اعتقاد ما يريد فيصـــدره، لكنَّه يُشـــترط في التعايش المجتمعي ألّا يُجَاهر بالكفر أو يُتَطَاول على ثوابت الدين.

فهذان مقامان مختلفان: مقام السريرة والضمير، ومقام العلانية والنظام.

ومن هنا ينداح سوء الفهم حين يخلط البعض بين وجود غير المسلمين في ظل الحضارة الإسلامية عبر العصور، وبين منحهم الحق في الدعوة العلنية لأديانهم أو الطعن في الإسلام.

فالتعايش كان قائماً على الاعتراف بالآخر ضمن ضوابط تحفظ هوية الأمة وتصون عقيدتها، لا على المساواة المطلقة التي تذهب بالثوابت وتهدم اليقين.
ويشبه هذا اللبس ذلك الخلط بين حرية التساؤل والبحث الشخصي لدفع الإشكالات العقدية، وهو أمر مشروع بل مطلوب، وبين بث تلك الشبهات ونشرها بين العامة، ممَّا يفسد عليهم صفاء عقيدتهم ويقينهم.
فالأولى حرية بحث واستعلام، والثانية فتنة وإضلال.
وهكذا تظهر روعة التشريع الإسلامي في توازنه: يمنح الحرية لكنَّه يربطها بالحكمة، ويقرُّ الحق لكنَّه لا يسمح بالإضرار، ويحفظ للفرد حريته دون أن يضيِّع حق الجماعة في اليقين والأمان.
يتمحور مفهوم الحرية في الفلسفة الليبرالية حول المجالات الآتية.

1.حرية المعتقد والإلحاد

فأنَّ قضية حرية المعتقد والإلحاد تُطرح في الساحة الفكرية بزخم لافت، ويرى دعاتها أنَّ من حق الإنسان أن يختار ديناً يُرضيه، أو أن يعيش في رحابة الإلحاد لا يؤمن بشيء، يقول:
العفيف الأخضر " حرية الدين أي اختيار المؤمن لأي دين يشاء، وحرية الضمير أي حرية الإنسان في عدم اعتناق أي دين بلا عواقب على حريته أو على حياته " غير أنَّ هذا التصور لحرية المعتقد يصطدم بحائط الإسلام وجوهر الإيمان؛ فهو في حقيقته إباحة للكفر، ومطالبة للدولة بأن ترفع سيفها عن المرتد، وتحمي حرية الارتداد.

وهكذا تتحول الدولة في ظل مفهوم المواطنة هذا من حامية للـدعوة، داعيـة إلى الإســـلام، إلى دولـة ترعى الكفر وتكفـل حمايته.

أمَّـا الـدعوة إلى حريـة الإلحـاد فهي غلو وتطرف في التحرر، وتطرف ليبرالي، لا يقف عند حد المســـاس بثوابت الأمة، بل يعدو عليها عدواً صريحاً، معتدياً على مجتمعات تؤمن بالله، وتعتزُّ بدينها، وتحرص على حماية عقيدتها من أن تُمسَّ بسوء.

2.حرية الفكر والرأي

بعد أن منح الخالق العقل للإنسان، جاء الليبراليون فجعلوا منه معبوداً، ورفعوا لحرية الفكر والرأي راية مطلقة لا تحجبها حجاب، ولا يحدُّها حدّ.

فهم يرون أنَّ للإنسان أن يسبح في فضاءات الفكر كيف شاء! وأن يعبر عن رأيه في أي أمر بطريقة يختارها، بلا قيد من دين أو خلق.

وهكذا تتحول الحرية في ظل هذا التصور إلى فوضى عارمة، تتهاوى عندها كل الحواجز، وتُهدم كل الثوابت، حتى يكاد يطغى ذلك التيار الجارف على كل قداسة، فيُمسي التطاول على العقائد والمقدسات تحت مسمَّى الحرية الفكرية ضرباً من الزندقة المطلقة.

فهم يرفضون أن يحاكم فكر، أو أن يُحجر على رأي، حتى لو تجاوز كل الحدود، واعتدى على صميم العقائد، فمحاكمة من طعن في ثوابت الأمة كنصر أبو زيد، وأحمد البغدادي أو من سخر من رموز دينها كمارسيل خليفة هي في نظرهم تقييد لحرية الإنسان، حتى لو كان ذلك على حساب دين المجتمع وقيمه.

بعد الـــتأمل في أصـول الفكر الليبرالي، يتبين أنَّ منطلقات هذا الفكر تقوم على نفي الحقيقـة المطلقـة، والإيمـان بنســبيـة المعرفة، وهي نظرية فلســفية وضــعية تزعم أنَّ كل ثابت ومقدس يمكن وضعه على طاولة المساءلة والنقاش، في غياب متعمـد لمرجعيـة الإلـه الخـالق، واســتبعـاد لحقيقـة الوحي والنبوة.

ومن هنا، يزعم أصــحاب هذا الفكر أنَّ للفرد مطلق الحرية في التفكير والتعبير دون ضــوابط، لأنَّهم يُنكرون وجود حقيقـة راسخة قد يصطدم بها الفكر أو التعبير.

ولكن هذه النظرة عند التمحيص تسقط في فخ التناقض الذاتي، فهي تشبه من ينكر وجود الشمس بحجة أنَّ الغيم يحجب رؤيتها، ثمَّ ينسى أنَّه يرى الأشياء بضوئها.

فكيف يمكن إنكار الحقائق المطلقة بينما نحن نعيش في عالم ملموس، نشهد فيه وجود الإنسان الذي نراه ونسمعه ونلمسه؟ والأعجب من ذلك أنَّ هذه النظرية تنقض نفسها بنفسها، فإذا لم تكن هناك حقيقة مطلقة، فكيف تكون نسبية الحقيقة نفسها حقيقية؟

وهل يمكن بناء صرح فكري على أساس من التناقض والغيوم؟

لقد جاء القرآن الكريم ليبطل هذه الدعوى ويؤكد أنَّ الوجود قائم على ثنائية واضحة: حق وباطل، ضوء وظلام، إيمان وكفر، قال تعالى " فماذا بعد الحق إلّا الضلال " يونس 32.

ومـا من شيء يخرج عن هـذا القـانون الربَّـاني؛ فـالحق مطلق ثابت، والباطل زائل نسبي، وما نظرية الصنع يمكنها أن تسقط حـقـيـقـة كـونـيـة أقـامـهـا الله تـعـالى في هـذا العالم.

بعد التأمل في مسـألة حرية الفكر والرأي، يتبين لنا أنَّ المطلق منها ضرب من العدمية التي لا تقبل التطبيق في عالم الواقع. فالحضـارة الغربية رغم ترددها لشـعارات الحرية ترفض في ممارسـتها الفعلية فكرة الإطلاق، خاصـة في الجانب السـياسي منهـا، بـل وتعتبر أنَّ حريـة التعبير حينمـا يتعلق الأمر ببعض الإسـلاميين تصـبح خطراً داهماً يتهدد كيان المجتمعات، ممَّا يستدعي إلغاءها ومحاسبة أصحابها عبر القضاء.

أمَّا في التصور الإسلامي الأصيل، فإنَّ حرية الرأي تجد مقامها المشروع في إطار البناء والتعزيز لمفاهيم الدين القويم، ونقد الأفكار والممارسات المنحرفة عن شرع الله.

والرأي المقبول في هذا السياق هو الذي يستند إلى أصل شرعي، مصداقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت " رواه الشيخان، وللرأي المشروط مجالان: الأول يتعلق بالعلوم الشرعية من فتوى وإنكار منكر، والثاني بالعلوم التجريبية الدقيقة كالطب والكيمياء، وكلا المجالين له أهلية متخصصة، فليس كل أحد مؤهلاً للإدلاء برأيه فيها، يقول الله تعالى " ولا تقف ما ليس لك به علم إنَّ السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان مسؤولاً " الإسراء 36، فمنح حق التعبير لغير المؤهل في هذه المجالات هو نوع من الكذب والتضليل، لأنَّه تحدث عن غير علم.

وهكذا يضل الرأي حُرَّاً في إطاره الشرعي، مقيداً بضوابط العلم والأخلاق، محروساً بحكمة التشريـع ورعاية المصالح.

3.الحرية السياسية يرتقي المشروع السياسي الليبرالي إلى سدة الغاية المنشودة، حيث تؤسس ركائز النظام الديمقراطي على أوتاد من حرية كريمة.

فهي الحرية التي تُتوج الأمة بصاحبة الحق الأصيل في التشريع، وتُزيح ستار الظلام لتُشرق شمس التعددية، حيث تتنفس الأحزاب وتُعبر المعارضة بصراحة، في مشاركة جادة من الشعب، يكون فيها تداول السلطة تجسيداً لإرادته الحرة، وضماناً لاستمرار نهضته.

4.الحرية الاجتماعية

للحرية الاجتماعية تجلّيات متعددة، يبرز دعاوى تحرير المرأة وتحرير التعليم، غير أنَّ هذه المطالب كما يصبغها الليبراليون الجدد تصطدم في جوهرها بعقيدة التوحيد، التي هي حقيقة الوجود المنشودة، والتي من أجلها أنزلت الكتب، وأرسلت الرسل، لتكون العبودية لله وحده هي الغاية والمنتهى.

وهذه الصورة المزيفة للحرية، تجعل من الإنسان أسيراً لهواه معبوداً من دون الله، فيعيش في متاهات من الضلال، يتقلب بين ظلماتها، وكما جاء في كتاب الله " أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكَّرون " الجاثية 23، فإذا كان هذا هو مصير من اتبع هواه، فمن ذا الذي يهديه بعد الله؟ أليس في ذلك لعبرة لأولي الألباب.

الحرية تمرّد على أحكام الإسلام!

يقول العفيف الأخضر " المحرمات الشرعية تعارض حق الفرد الحديث في التصرف في رأسه وفرجه، وحقه في اختيار قيمه ونمطه الحياتية في ملبسه ومأكله ومشربه ومنكحه".

بهذا الفعل تتحلل المحظورات التي أجمع المسلمون على تحريمها، فيخرج بذلك من حلقة الإسلام ودائرته.

الحرية عندهم حق يُخَصُّ به كل زنديق يُشرع من دون الله، أو يعارض أصول الإيمان، أو يمحو رسوم اليقين؛ هي اتباع للهوى وانحدار وراء الشهوات، وغايتها الأولى هي التمرد على ثوابت الدين.
فتكون بـذلـك زنـدقـة صريحـة وحـدًّاً عن الحق والطريق المستقيم.

" الرسالة الثانية والثلاثون "

حركات التجديد والإصـــلاح: مقارنة بين الســـياقين الغربي والإسلامي!

مناقشـــة موضـــوع المجددين وأفكار التجديد في الســـياقين الإسلامي والغربي، متبعاً في ذلك إطاراً ثلاثي المحاور.

1.بداية التجديد في الغرب

"لقد كان للصراع بين الكنيسة والعلم في القرون الوسطى أثره القوي على ظهور النزعات والمذاهب الفكرية المتنوعة داخل المجتمعات الغربية اليهودية منها والنصرانية، وبشكل أعمُّ يمكن القول أنَّ ذلك الصراع كان بين الدين والعقل، وكانت الدولة في نهاية المطاف وإلى يومنا هذا للعقل؛ الذي ساد على الدين، بل وتمَّ إخضاع الدين له" ينظر كتاب الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار البهي الخولي ص 249.

انبثق من رحم ذلك الصراع أحد أبرز التطورات الفكرية: نشوء حركة تدعو إلى تحديث الدين في الغرب، والتي أطلق عليها لاحقاً تسمية العصرانية.

" وقد أخذت العصرانية " تطوير الدين " تتشكل بشكل فكري واضح ومنظم مع بدايات القرن التاسع عشر الميلادي، فقد بدأت بفرقة يهودية في ألمانيا أوائل ذلك القرن، عرفت باسم اليهودية المتحررة، وسميت أيضاً التجديدية أو الإصلاحية، وكان هدف هذه الحركة إلحاق اليهود بركب الحضارة، وإقامة توازن بين اليهودية والحياة المعاصرة " ينظر كتاب اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر محمد صادق جمال ص 549.

" فبدأت مثلاً بتذليل الصعوبات اللغوية وكتابة الصلوات بلغة سهلة، وإدخال ألآت العزف مع الصلاة؛ لتكون الصلاة أكثر جاذبية وخاصة للشباب، ثمَّ تطورت هذه الحركة على يد

مفكرين من أَحبار اليهود حتى وصلوا إلى التشريعات اليهودية فرأوا أنَّ الشريعة الإلهية موقوتة بظرفها، وينبغي إيجاد تشريعات بديلة، لأنَّ التلمود يتحدث متأثراً بفكر زمانه، وهم يريدون فكراً متقدماً مناسباً للزمان الذي يعيشونه" ينظر كتاب العصرانيون محمد حامد ناصر ص 188.

" وقد أحدثت هذه الفرقة ضجة ومعارضة في أَوساط اليهود، حتى إنَّ بعضهم رأى أنَّ تطويع اليهودية للعصر معناه موت اليهودية " ينظر نفس المرجع ص 188.

ينبغي لنا أن نأخذ هذه البنود في الاعتبار عند مناقشة منظّري تجديد الإسلام " الإسلام العصراني " في زماننا المعاصر.

انطلقت حركة التجديد العصراني في النصرانية بشكل متزامن ومتوازٍ مع حركة مشابهة في اليهودية، واتحد الهدفان في سعيهما لتحديث الدين وتكييفه مع معطيات العصر، وفي هذا يقول أحد كتاب الغرب وهو جون راندال " أمَّا الذين دعوا أنفسهم بالمتدينين الأحرار، والذين قوي شأنهم على السواء بين المفكرين الجادين واللامباليين في كل فرقة دينية، سواء من البروتستانت أو اليهود أو حتى الكاثوليك فقد ذهبوا إلى القول أنَّه إذا كان للدين أن يشكل حقيقة حية، وإذا كان له أن يظل تعبيراً دائماً عن الحاجات الدينية للجنس للبشري، لا بد له أن يتمثل الحقيقة والمعرفة الجديدتين، وأن يتآلف مع الشروط المتغيرة في العصر الحديث من فكرية واجتماعية " ينظر كتاب تكوين العقل الحديث جون راندال.

" وهكذا سعى هؤلاء العصرانيون " الأَحرار " إلى تقويض سلطة الكنيسة، ورفض المنقول وإعادة تأويل العقائد وفق المعرفة الحديثة، وقد نقدوا التوراة والإنجيل، في إطار ما يسمى بالنقد التاريخي، واخضعوهما للبحث العلمي، وبالتالي جاء السؤال:

هل هي كتب مقدسة أم لا؟ إدخال فكرة التطور الداروينية وكذا الحقيقة النسبية إلى مناهج تعاليم الدين! وفي إنجلترا أدّى ازدهار العصرانية إلى تأسيس اتحاد للعصرانيين عام 1898م، سمي " اتحاد رجال الكنيسة المعاصرين " أو " رجال الكنيسة المعاصر " ينظر كتاب العصرانيون محمد صادق جمال ص 191.

يمكن إيجاز الأسس الرئيسية للفكر العصراني الغربي في النقاط التالية:

1.التركيز على المادي وإهمال الغيبي حيث يقوم هذا الفكر على تغييب أو إنكار كل ما يتجاوز العالم الملموس والمحسوس، ممَّا يعني إهمال عالم الغيب بشكل كامل.

2.تبني العقلانية المطلقة إذ يُعتبر العقل البشري هو المصدر الوحيد والمقياس الأوحد لتحديد الصواب من الخطأ، مع رفض أي تأثير أو مرجعية خارجية عنه، كالدين أو الوحي.

3.نسبية القيم والأخلاق فالأخلاق والقيم ليست ثابتة أو مطلقة، بل هي متغيرة ونسبية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالبيئة والظروف المحيطة، وتتأثر بعاملي الزمان والمكان.

2.التجديد الفكر الإسلامي بحلول أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، كان العالم الإسلامي يُعاني مرحلة حرجة من الضعف والاهتزاز، وتجلى ذلك واضحاً في ضعف الدولة العثمانية التي كانت تحكم جزءاً كبيراً من بلاد المسلمين، حتى تكالبت عليها قوى العداوة من الداخل والخارج إلى أن تمكنت منها في مطلع القرن العشرين، وأُسقطت خلافتها، فتقدم العدو الخارجي ليحتل أجزاءً كبيرة من ممتلكاتها، ويسيطر على المسلمين سيطرة مباشرة.

خلال فترة الضعف هذه قبيل سقوط الخلافة وأثناءها وبعدها، برزت في العالم الإسلامي حركات تدعو إلى إصلاح الدين وتجديده، أمَلاً في الخروج من تلك الحالة المتداعية، لكنَّ تلك الدعوات للأسف صارت أشدَّ ضرراً على العالم الإسلامي من العدو الخارجي نفسه، الذي لم يهدف إلّا إلى نهب الثروات واستنزاف المقدرات.

فهذه الدعوات سلبت الإسلام روحه وأصالته، وأصبحت عن دراية أو بدونها خادمة لأجندة الاستعمار، وسبب ذلك ببساطة أنَّها لم تقم على أصل صحيح من الدين، بل قامت على أسس عقلانية تهدف إلى تلويق الدين وتطويعه لتطلعات العصر، على غرار ما حصل في اليهودية والنصرانية.

وقد عرفت هذه الحركة التجديدية بعدئذ بالمدرسة العقلاني لتقديمها العقل على النص، كما سميت بالمرسة الإصلاحية.

هذه المدرسة التجديدية العقلانية كما يعرفها الشيخ سلمان العودة " هي اسم يُطلق على ذلك التوجه الفكري الذي يسعى إلى التوفيق بين نصوص الشرع وبين الحضارة الغربية والفكر الغربي المعاصر، وذلك بتطويع النصوص وتأويلها تأويلاً جديداً يتلاءم مع المفاهيم المستقرة لدى الغربيين " ينظر كتاب حوار هادئ مع محمد الغزالي ص 9.

ويمكن تلخيص أبرز معالم هذه المدرسة التجديدية العقلية فيما يلي:

1. التوسع في تفسير القرآن الكريم على ضوء العلم الحديث بكافة جوانبه، ولو أدَّى ذلك إلى استحداث أَقوال مجانبة لتركيب الآيات من الناحية اللغوية، أو غير موافقة للمنقول عن السلف رحمهم الله.

2.ردّ السنة النبوية كلياً أو جزئياً، فمنهم من يردُّ ها مطلقاً، ومنهم من يقبل المتواتر العملي فقط، ومنهم من يقبل المتواتر مطلقاً عملياً كان أو قولياً، أمَّا أحاديث الآحاد فمنهم من يردّها مطلقاً، ومنهم من يقبل منها فقط ما وافق روح القرآن، أو ما اتفق مع العقل أو التجربة البشرية.
3.التهوين من شأن الإجماع إمَّا برفضه كلياً، أو بتقييده بضوابط جديدة لم تكن معروفة بين العلماء، مثل إضافة أهل الحل والعقد الذين بيدهم السلطان في اشتراط الإجماع.
4.الحرية الواسعة في الاجتهاد مع غض النظر عن الشروط المطلوبة في المجتهد، وعن الأطر العامة التي تضبط الاجتهاد، ونتج عن هذا وعن موقفهم من الإجماع آراء شاذة ومنكرة لم يُسبقوا إليها.
5.الميل إلى تضييق نطاق الغيبيات ما أمكن، فأقحموا العقل في المسائل الغيبية، ومن هنا جاءت تأويلاتهم للملائكة والجنّ والشياطين والطير الأبابيل وغيرها على غير حقيقتها.
6.تناول الأحكام الشرعية العملية تناولاً يستجيب لضغوط الواقع، ومتطلباته، وذلك في مثل قضايا الربا، والوحدة الوطنية، وحرية الفكر وغيرها.
7.المواءمة والتوفيق بين نصوص الشرع ومعطيات الحضارة الغربية وفكرها المعاصر، وذلك بتطويع النصوص وتأويلها تأويلاً جديداً يتلاءم مع المفاهيم المستقرة لدى الغربيين وعرض الإسلام عرضاً يقبله المثقفون ثقافة عصرية.
8.اعتماد فهم المقصد بدل الفهم النصَّي، فالنصوص عندهم يجب أن تُفهم وتُؤول على ضوء المقاصد " الحرية والعدل والتوحيد والإنسانية " ونصوص الحديث يُحكم على صحتها وضعفها لا حسب منهج المحدثين في تحقيق الروايات؛ وإنَّما

حسب موافقتها أو مخالفتها للمقاصد.
9.إقامة الرابطة الاجتماعية بين الناس لا على أَســـاس الإيمان والكفر، إنَّما على أساس الوطن والإنسانية، وعليه يجب إعادة النظر في تقسيم العالم إلى دار حرب ودار إسلام، وفي استعلاء المسلم على غيره وتميّزه عنه، وفي منع غير المسلمين من تقلد المناصب في الدولة الإسلامية. ينظر كتاب الإسلام الذي يريده الغرب ص 170.
بعد هذا المسار الفكري، تتكشف لما حقيقة أنَّ المبادئ الجوهرية لهذه المدرسة العقلانية تكاد تكون صدىً أميناً للمدرسة الغربية، فكلتاهما تشتركان في الغاية وإن تباينت في التفاصيل، لتصل في المحصلة إلى هدف واحد: تشكيل الدين في قالب جديد يتناغم مع متطلبات الحضارة المعاصرة، أو بالأدق وفق النموذج الغربي السائد.
يقول محمد العبدة وطارق عبد الحليم " يمكن تحديد ما تجتمع عليه آراء تلك المدرسة في كلمة واحدة وهي التطوير أو العصرانية وما تعنيه من تناول أصول الشريعة وفروعها بالتعديل والتغيير؛ تبعاً للمناهج العقلية التي اصطنعها الغرب أو ما تمليه عقليات أرباب ذلك المذهب، التي تتلمذت لتلك المناهج.. ولا يسلم من هذا التطوير أمر من أمور الشريعة كأصول الفقه والحديث أو التفسير أو مسائل الفقه والحجاب والطلاق وتعدد الزوجات، والحدود أو الطامة التي عرفت بالتقارب بين الأديان " ينظر كتاب المعتزلة بين القديم والحديث محمد العبدة وطارق عبد الحليم ص 137.
وتعود جذور تقديس المعتزلة للعقل إلى الفلسفة الهندية والفلسفة اليونانية، والتي تواردت على العقل العربي في آخر العصر الأموي، عن طريق الفرس، لأنَّ الثقافة الفارسية قبل

الإسلام كانت متأثرة بالفلسفة اليونانية، وقد تأثر المعتزلة بهذه الفلسفة في آرائهم، وأخذوا عنها كثيراً في استدلالهم، فظهرت في أدلتهم ومقدمات أقيستهم. محمد أبو زهرة المذاهب الإسلامية ص 124.

والعجيب أنَّ المعتزلة قاموا للدفاع عن الدين ضد الفلاسفة وغيرهم من المجسمة والرافضة والزنادقة والجهمية والمرجئة والخوارج نفس المرجع.

ولكنهم بتقديمهم العقل على النقل هدموا من حيث أرادوا البناء.

بعد انتهاء هذا المحور، يحسن بنا أن نلمح إلى ثلاثة أمور ذات بال:

أولها: أنَّ ما انتحلت به هذه المدرسة ليس من التجديد في دين الإسلام في شيء، بل هو هدم لأركانه تحت ستار التطوير والتجديد! حتى نالوا رضى المستعمر الغربي ودعمه، بل زيَّن لهم الألقاب البراقة، فنعتوهم بالمجددين والمستنيرين وأهل العصر، على غير ذلك من النعوت التي سطرت في سجلات تلك الحقبة المظلمة من التاريخ.

ثانيها: أنَّ روَّاد هذه المدرسة وأتباعها ليسوا على مرتبة واحدة فمنهم من قصد من كتاباته هدم الإسلام ظاهراً متأثراً بالأفكار الغربية العلمانية، ومنهم من جعل قضايا الإسلام مطيَّة لمآرب سياسية يبتغيها، ومنهم للأسف من فعل ذلك عن حسن نية، لكنَّه انطلق من تصورات غربية بالية، أَو أَفكار معتزلة أعجب بها، أو بهما معاً، وذلك أشدُّ إيغالاً في الضلال وفي جميع الأحوال، فالنتيجة واحدة: هدم الدين تحت مسمى اسم التجديد.

ثالثها: انَّ فكر هذه المدرسة العقلانية لا يزال ممتداً إلى يومنا هذا، ولا يزال أَربابها يسعون إلى تطويع الإسلام ليواكب العصر وفق المنهج العقلي، الذي رسمه محمد عبده وتلاميذه، لذلك يُطلق عليهم بعض الباحثين: العصرانيون الجدد، ومن أَبرز وجوههم في زماننا حسن الترابي وخالص جلبي وجودت سعيد وفتحي عثمان وزكي نجيب، وغيرهم.

3.التجديد الحق

بحكمة إلهية بالغة، قضى الله تعالى أن يختم الرسالات السماوية برسالة الإسلام، وأن يجعل خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

بينما كانت الرسالات السابقة تُرسل إلى أمة بعينها، وتقتصر على زمن محدد، ثمَّ يأتي بعدها ما يُنسخها ويجددها، جاءت رسالة النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم شاملة للعالمين، عامة للناس أجمعين، محفوظة إلى أن تقوم الساعة، فلا نبي بعده ولا رسالة بعد رسالته، تصديقاً لقوله تعالى " وما أرسلناك إلّا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون " سبأ 28، وقوله تعالى " ولكن رسول الله وخاتم النبيين " الأحزاب 40.

ولأنَّ البشرية ستمضي في رحلتها قروناً طويلة بعد بعثته صلى الله عليه وسلم، فإنَّ حكمة الله البالغة قد قضت أن يبعث لها على مرِّ العصور من يجدد لهذه الأمة دينها، ينفض عن جواهره غُبار البدع والانحراف، ويعيد إليه نضارته وصفاءه، ويحييه في قلوب العباد كما أنزله الله ربّ العالمين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: " إنَّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها " رواه أبو داود رجاله رجال مسلم

والتجديد هو أن تعيد إلى السنن وجهها الوضّاء، بعد أَن غشيه طيٌّ النســـيان وطمس الإهمـال، فتحييهـا في القلوب حيـة وتنشرها بين العباد نصاعة.
وهو أن تقمع بعزم لا يلين بـدع الزيف ومحـدثـات الظلمـات فتجتثها من جـذورهـا، وتكشـــف غطـاء أهلهـا حتى تتجلّى حقيقتهم للناظرين.
وهو أن تعيد للإسلام صفاءه الأول، فتنقيه من أوضار تلك الشبهات، وتردُّه إلى نبعه الصافي، ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام، نبراساً يُهتدى به، ومنهاجاً يُتّبع.
ومنها تعريف الدكتور محمد الشريف للتجديد المشروع بأنَّه " إعادة الدين إلى النحو الذي كان عليه زمن النبي صلى الله عليه وسلم وإعادة الناس إليه على النحو الذي مضى عليه القرون الثلاثة المفضلة، فينفى عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وغلو المتنطعين، وتفلّت الفاسقين، ويعود الناس إليه بالقبول والتلقي، والانقياد والتسليم، والتصديق والإتباع، والتوقير والفهم والالتزام " ينظر كتاب تجديد الخطاب الديني محمد الشريف ص45.

مناهج التجديد الصحيح ومواصفات المجددين!

قضت حكمة الله تعالى أن يكون دين الإسلام هو الخاتم للشرائع، والمنهج المتكامل إلى قيام الساعة، وأن يكون حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا نبي بعده.
وإنَّما يكون التجديد الحق إشراقة تحيي ما انطمس من معالم هذا الدين في القلوب والعقول، وتعيد له نقاءه وضياءه في واقع

الحياة، فتعيد غرســه في النفوس، وتنقيه من شــوائب البدع وتحريف الغالين.
وعلى هذه الدعائم الأصلية قام عظماء هذه الأمة، مجددوها، قرناً بعد قرن، يحملون راية الحق، ويهبُّون كالنسيم الطهور على كل عصر لينفضوا عن جبين الدين غبار السنين.

يمكن أن نحدد المجالات الإجمالية التي يتم من خلالها التجديد الحق للدين الإسلامي:

المجال الأول: الحفاظ على نصوص الدين الأصلية صحيحة نقية، لأنَّ الدين قام على النصوص الأصلية التي أنزلها الله في كتابه أو بينها رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا بقاء للدين دون حفظ نصوصه، وما حرفت الأديان السابقة إلّا بضياع أصولها ونصوصها.

المجال الثاني: نقل المعاني الصحيحة للنصوص وإحياء الفهم السليم لها، فإحياء منهج الصحابة رضوان الله عليهم، في تلقي الإسلام وفهمه وتطبيقه، والعناية بتوثيق المنقول عنهم، من أهمِّ مجالات تجديد الدين، لأنَّهم عايشوا نزول الوحي وخالطوا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم فأصبح فهمهم للنص جزء لا يتجزأ من الدين.

المجال الثالث: التجديد في مجال النظر والاستدلال، والاجتهاد في الأمور المستجدة، وإيجاد الحلول لها، لأنَّ الحوادث والمستجدات ممدودة لا حصر لها، بينما نصوص الشرع محدودة، فالاجتهاد لإنزال النصوص المحدودة على الحوادث الممدودة يعد باباً عظيماً من أبواب التجديد.

المجال الرابع: تصحيح الانحرافات في الدين سواء في العقيدة أم في الســلوك، وقمع البدع وتنقية الإســلام ممَّا يعلق به ممَّا

ليس منه، والعمل على صياغة حياة المسلمين صياغة إسلامية شرعية، وفضح المناهج والاتجاهات والسبل المخالفة للإسلام، والساعية إلى تقويض المجتمع المسلم.

المجال الخامس: حماية الدين والدفاع عنه والجهاد في سبيله، لأنَّ الدفاع عن الدين وصيانته من عبث العابثين وحماية العاملين الحاملين للوائه تحتاج إلى قوة وبأس قال تعالى " لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناسُ بالقسطِ وأنزلنا الحديد في بأسٌ شديدٌ ومنافعُ للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب " الحديد 25، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد إيراده لهذه الآية الكريمة " فأخبر أنَّه أرسل الرسل وأنزل الكتاب والميزان لأجل قيام الناس بالقسط، وذكر أنَّه أنزل الحديد الذي به ينصر الحق، فالكتاب يهدي والسيف ينصر، وكفي بربك هادياً ونصيراً، ولهذا كان قوام الناس بأهل الكتاب وأهل الحديد، كما قال من قال من السلف: صنفان إذا صلحوا صلح الناس: الأمراء والعلماء " ينظر كتاب مجموع الفتاوى لأبن تيمية 158/18.

تحديد المواصفات الأساسية للمجدد في الدين ومناهجه بعدة شروط جوهرية هي:

أولا التمكن العلمي والفقهي: يشترط أن يكون المجدد مجتهداً يمتلك فهماً عميقاً وشاملاً لنصوص الشرع ومقاصده، إلى جانب إدراكه الواعي لتحولات العصر وتعقيدات الواقع، بحيث يجمع بين الأصالة والمعاصرة.

ثانياً شمولية المنهج: يجب أن يتسم تجديده بالتوازن بين ميداني الفكر والسلوك، إذ إنَّهما متلازمان، فالفهم الخاطئ ينتج

ممارسات منحرفة، كما أنَّ السلوك المنحرف قد يؤدي إلى تبريرات فكرية فاسدة.

ثالثاً قوة الإرادة والعزيمة: أن يكون ذا همَّة عالية ونفس تواقة للتغيير والإصلاح، لا يثنيه عائق ولا توهنه التحديات، على غرار الطائفة المنصورة التي أخير عنها النبي صلى الله عليه وسلم، والتي يحمل المجددون نفس روحها الثابتة والمنتصرة.

رابعاً التأثير العملي والمجتمعي: ان يكون تجديده مؤثراً ونافعاً لأهل زمانه، بحيث تثمر حركته الإصـــلاحية عن تحســـين حقيقي في فكر الناس وسلوكهم، تاركاً أثراً ملموساً.

الخاتمة

ها هي صـــفحاتُ الكتابِ تَبلغُ خِتامَها، ولكنَّها ليســـتْ نهايةُ الطريقِ، بلْ هي إشـارةُ البدايةِ ونقطةُ الانطلاق، لقد حاولنا أنْ نرســـمَ خريطةِ للدِّعوة في عالمٍ لمْ يعدْ يحتملْ القولبةَ، ولا يعترفُ بالحدودِ التقليدية، عالمٌ أصـــبحتْ لغتُهُ هي لغةُ السرعةِ، والصورةِ، والحضورُ الرَّقمي الذي لا يغيب.

إنَّ الدعوةَ إلى اللهِ في هذا العصرِ ليستْ ترفاً فكرياً، ولا مهارةً احترافية تكتسب فحسب، بل هي صدقٌ في الشعور، وصفاءٌ في النِّية، وحرقةٌ في القلبِ على أَوضاع الأُمَّة، هي ذلك الجسرُ الرقيقُ الذي نبنيه بينَ أصالةِ ديننا الخالد وحداثةِ عالمنا المتغير.

هيَ أنْ تكونَ كالشَّجرة الطِّيبة، أَصلها ثابتٌ في الأرضِ الوطيدة منْ عقيدتِنا وقيمنا، وفرعُها يتطلع إلى كل سماء جديدة يفتحها اللهُ علينا، يانعاً بالحكمة والموعظة الحسنة.

لنكن إذن ذلك الوجه الندي للإسلام، الذي يتحدث بلغة العصر دون أن يفقد روح الأَصالة، لنكون أولئك الذين يفهمون لغة الخوارزميات كما يفهمون لغة القلوب، ويبثون نور التوحيد في عالم السيل الرقمي المظلم، لنكن سفراء للرحمة، ومهندسين للوئام، وروّاداً في بناء الإنسان، مستخدمين كل ما منحنا الله من أدوات العصر، مسخِّرين إياها لخدمة غاية الأَزمان " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة "

فليكنْ همُّنا أن نُصلح لا ألّا نُصلح، وأن نعمِّر لا أن نهدم، وأنْ نقدم نموذجاً يجمع بين حكمة السلف وطموح الخلف، فإن كان هذا العصرُ قد أعطانا منصاتٍ لا تُحصى، فإنَّ رسالتَنا تبقى واحدة: كلمةٌ طيبةٌ كشجرةٍ طيبةٍ، تُؤتي أُكلها كلَّ حين بإذن ربها.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على نبينا محمد، المعلم الأول، والداعي إلى الله على بصيرة.

علي أبو عمر

15 ربيع الأول

1447 للهجرة

المحتويات

الإهداء.....2
المقدمة.....3
الرسالة الأولى.....5
الرسالة الثانية 8
الرسالة الثالثة.....12
الرسالة الرابعة.....13
الرسالة الخامسة.....16
الرسالة السادسة.....18
الرسالة السابعة.....20
الرسالة الثامنة.....22
الرسالة التاسعة.....25
الرسالة العاشرة.....28
الرسالة الحادية عشرة.....33
الرسالة الثانية عشرة.....42
الرسالة الثالثة عشرة.....46
الرسالة الرابعة عشرة.....49
الرسالة الخامسة عشرة.....53
الرسالة السادسة عشرة.....57
الرسالة السابعة عشرة.....61

الرسالة الثامنة عشرة.....65
الرسالة التاسعة عشرة.....67
الرسالة العشرون.....70
الرسالة الحادية والعشرون.....75
الرسالة الثانية والعشرون.....78
الرسالة الثالثة والعشرون.....80
الرسالة الرابعة والعشرون.....91
الرسالة الخامسة والعشرون.....93
الرسالة السادسة والعشرون.....99
الرسالة السابعة والعشرون.....102
الرسالة الثامنة والعشرون.....104
الرسالة التاسعة والعشرون.....111
الرسالة الثلاثون.....120
الرسالة الحادية والثلاثون.....125
الرسالة الثانية والثلاثون.....133
الخاتمة.....145